

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م

مقدمه

الحمد لله الذي وصف المؤمنين بعمل الصالحات، وأمـرهم باسـتباق الخيـرات، والمسارعة إلى مغفرة منه وجنة عرضها الأرض والسماوات، أحمـده سـبحانه، يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويوفق لفعل الخير من تحـراه، ويـضاعف المثوبة لمن فعله يبتغي رضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك لـه رب العالمين، وإله المؤمنين، هو الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وما يفعلـوا من خير فلن يكفروه، والله عليم بالمتقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خـاتم النبيين وسيد المرسلين، المخصوص بالقرآن المبين، المعجزة الباهرة المـستمرة على تكرر السنين، صاحب الشفاعة العظمى ولواء الحمد والمقام المحمود، يـوم يقوم الناس لرب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأزواجـه وأصـحابه الطيبين الطاهرين؛ الذين كانوا يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

وبعد ؛

فهذه مجموعة من المقالات الرمضانية عشت معها في شهر رمضان ؛ ذلك الشهر الذي ينتظره المؤمنون الصالحون من العام إلى العام كي يتذوقوا فيه طعم الإيمان ، ويستشعروا منه لذة الطاعة والغفران .

فاللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وصالح أعمالنا يا كـريم يـا منان .

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

البحيرة – إيتاي البارود – المواسير

في ١٥ من شعبان ١٤٣١ هـ = ٢٣ /٧/ ٢٠١٠ م

رمضان وحلاوة الإيمان

حلاوة الإيمان في شهر رمضان حلاوة لا يحسها ، ولا يدرك كنهها إلا من ذاقها وعرفها ، وكما قيل : " من ذاق عرف " ، وهي حلاوة يغترف منها العقل والجَنان ويعترف بها اللسان والأركان ، قال تعالى : " أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ .. (٢٢) **سورة الزمر** ، وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً. **أخرجه أحمد ٣٠٨/١(١٧٧٨) و"مسلم" ٤٦/١(٦٠).**

وعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يَكْرَهَ الْعَبْدُ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الإِسْلاَمِ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ، وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدُ الْعَبْدَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ ، عَزَّ وَجَلَّ. **أخرجه أحمد ١٧٤/٣(١٢٨١٤) و"مسلم" ٧٦.**

ذكروا أن زوجاً غاضباً على زوجته ، قال لها متوعداً : والله لأشْقِينَّك .فقالت الزوجة: إنك لا تستطيع أن تشقيني كما أنك لا تملك أن تسعدني . فقال لها : وكيف لا أستطيع ؟ فقالت: لو كانت السعاة في مالٍ لقطعته عني ، أو في زينة أو حلي لأخذته مني ، ولكنها في شيءٍ لا تملكه أنت ، ولا الناس أجمعون . فقال لها في دهشة : وما هو ؟ فقالت : إني أجد سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان له عليه غير ربي ! .

فليتك تحلوا والحياة مريرة * * * وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * * * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * * * وكل الذي فوق التراب تراب

إنها سعادة الإيمان بالله التي وجدها أحد المؤمنين وصرَّح بها قائلاً : إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف . وقال آخر وهو في قمة

السعادة الإيمانية التي ملأت عليه أقطار نفسه : إنه لتمر علي ساعات أقول فيها : لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه لكانوا في عيش طيب ! .

كان مجمع التيمي – رحمه الله – يصوم في الصيف حتى يسقط. وكانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حرا فتصومه فيقال لها في ذلك ، فتقول : إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد. في إشارة إلى إنها لا تؤثر إلا العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليل من الناس لشدته عليهم، وهذا من علو الهمة.

وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور.

وعن ابن سيرين قال: خرجت أمّ أيمن مهاجرة إلى الله ورسوله وهي صائمة ليس معها زاد، ولا حمولة، ولا سقاء، في شدّة حرّ تهامة، وقد كادت تموت من الجوع والعطش ، حتى إذا كان الحين الذي يفطر فيه الصائم سمعت حفيفا على رأسها، فرفعت رأسها فإذا دلْوٌ معلّق برشاء أبيض، قالت : فأخذته بيدي فشربت منه حتى رويت، فما عطشتُ بعد، فكانت تصوم وتطوف لكي تعطش في صومها فما قدرت على أن تعطش حتى ماتت" **مصنف عبد الرزاق ٣٠٩/٤.**

وهو الحلاوة وتلك اللذة يستشعرها المؤمن حينما يهل عليه هلال رمضان فيدعو ويقول : " اللهمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلاَمِ رَبِّى وَرَبُّكَ الله.

ثم يعايشها حينما يصوم شهر رمضان ، وينقضي اليوم ويأتي موعد الإفطار فيفرح ويحس بحلاوة الإيمان ويشكر الله على أن وفقه لصيام ذلك اليوم ، وهكذا تتجدد الفرحة وحلاوتها كل يوم إلى أن يفرح الفرح الأكبر يوم أن يلقى ربه ، قال تعالى : " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) **سورة يونس** ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، مَرَّتَيْنِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ

أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَرِحَ بِصِيَامِهِ) «**رواه البخاري ومسلم**» .

ثم يحس بحلاوة الإيمان حينما يعايش كتاب الله تعالى في رمضان تلاوة وحفظا وفهما وعملا ، قال الله عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) **سورة فاطر.**

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِى رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. **أخرجه أحمد ١/٣٣٠(٣٠٤٢) و"البُخَارِي" ١/٤(٦) و٤/٢٢٩(٣٥٥٤) و"مسلم" ٧/٧٣(٦٠٧٥).**

ثم يحس حلاوة الإيمان حينما يقف بين يدي الواحد الديان يدعوه ويناجيه ويتقرب إليه بالنوافل ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ. **أخرجه البخاري ٨/١٣١(٦٥٠٢).**

قيل لبعض الصالحين لما أكثر الخلوة: ألا تستوحش؟ قال: وهل يستوحش مع الله أحد؟!!.

روي عن السري بن مغلس السقطي أن لصاً دخل بيت مالك بن دينار فما وجد شيئاً فجاء ليخرج فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليك السلام، قال: ما حصل لكم شيء من الدنيا فترغب في شيء من الآخرة – قال: نعم، قال: توضأ من هذا المركن وصل ركعتين، ففعل ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح، قال: فلما خرج

مالك إلى المسجد قال أصحابه: من هذا معك – قال: جاء يسرقنا فسرقناه. **تاريخ الإسلام للذهبي ١٤٤/٣.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. **أخرجه النسائي ٢٠١/٣ و١٥٦/٤ و١١٧/٨ . الألباني :صحيح (٢١٩٣).**

عَنْ عَائشةَ رَضيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قُلتُ: «يا رَسولَ الله، أَرأَيتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ ليلَةٍ ليلَةَ القدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قولي: اللَّهُمَّ إنَّك عفُوٌّ كَريمٌ تُحبُّ العفوَ فَاعْفُ عنِّي» **رواه الترمذي (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠) والنسائي في الكبرى (١٠٧٠٨) وأحمد (١٧١/٦) وصححه الحاكم وقَالَ: على شرط الشيخين (٧١٣/١).**

ثم يعاين تلك الحلاوة يوم القيامة حينما يأخذ الصوم بيديه ويشفع له عند ربه ، ويدخله من باب الريان ، قال تعالى : " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) **سورة يونس .**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ.**أخرجه أحمد ١٧٤/٢(٦٦٢٦) .**

وعن سِهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «في الجنَّةِ ثَمَانِيَةُ أبْوَابٍ فيهَا بَابٌ يُسمَّى الرَّيَّانُ لا يَدْخُلُهُ إلاّ الصَّائِمُونَ» **رَوَاهُ الشَّيخَانِ رواه البخاري (٣٠٨٤) ومسلم (١١٥٥) والترمذي (٧٦٥) والنسائي (١٦٨/٤) وابن ماجه (١٦٤٠) وأحمد (٣٣٥/٥).**

ومع أول قدم يضعها الصائم في الجنة تتلاشي كل المتاعب والنوائب التي عاشها في الدنيا ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً ،

فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَاللهِ ، يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤُسٌ قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. . **أخرجه أحمد ٢٠٣/٣(١٣١٤٣) و"مسلم" ١٣٥/٨(٧١٩٠).**

وحينما يرى غرف الصائمين تتجدد حلاوة الإيمان ، عنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَلاَنَ الْكَلاَمَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ. ، وفي رواية :" إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلاَمَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. **أخرجه أحمد ٣٤٣/٥ (٢٣٢٩٣) وابن خزيمة (٢١٣٧) قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٢١٢٣ في صحيح الجامع.**

قال الشاعر :

وغاية هذي الدار لذة ساعة * * * ويعقبها الأحزان والهم والندم

وهاتيك دار الأمن والعز والتقى * * * ورحمة رب الناس والجود والكرم

ثم الحلاوة الكبرى والنعيم والفوز الأكبر حينما يرى وجه الكريم المنان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقولُ اللهُ تريدون شيئًا أَزِيدُكُمْ فيقولون ألم تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ألم تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ فَيَكْشِفُ الحجاب فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِهم .**أخرجه مسلم (١٦٣/١ ، رقم ١٨١) ، والترمذي (٢٨٦/٥ ، رقم ٣١٠٥) . و أحمد (٣٣٢/٤ ، رقم ١٨٩٥٥) . (صحيح الجامع ١٨٩٥٥) .**

قال الشاعر :

رضاك خير من الدنيا وما فيها * * * يا منية القلب قاصيها ودانيها

ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي * * * أشهى إلي من الدنيا وما فيها

وليس للنفس آمال تؤملها * * * سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال ، وأذقنا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة والإحسان .

الصوم وعبادة السر

عبادة السر هي العبادة التي تكون خالصة لله تعالى وحده ، بعيدة كل البعد عن الرياء والسمعة ، وهذا ما يعلمنا إياه الصوم ، فهو يربي النفوس على التقوى والإخلاص ، وحسن المراقبة والخشية من الله تعالى وحده ،قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) **سورة البقرة .**

لذا فقد جعل الله تعالى أجر الصوم منه وحده فلا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا حاسب غير الله فيحسبه ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، وَأَبِى سَعِيدٍ ، قَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّ الصَّوْمَ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِىَ اللَّهَ فَرِحَ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.**أخرجه أحمد ٢/٢٣٢(٧١٧٤) و"مسلم" ١٥٨/٣.**

قال المناوي: "أجزي به صاحبه جزاء كثيراً، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى ملك مقرب ولا غيره لأنه سرّ بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جوزي بتولي الله سبحانه إحسانه". "**فيض القدير" (٣٥٠/٤).**

وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما: أن الصيام لمّا كان سراً بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويُعرفون بصيامهم بين الناس جزاءً لإخفائهم صيامهم في الدنيا.

قال مكحول: يُروّح على أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام.

فالعبادات كلها تستطيع إثباتها والتدليل عليها خلا الصوم ، فلو أقسمت على أن فلانا قد صلى ، فقلنا لك : ما الدليل على ذلك؟. قلت : كان بجواري في الصف ، ساعتها نقول لك : صدقت ، ولو أقسمت على أن فلاناً قد دفع الزكاة من ماله للفقراء والمحتاجين ، فقلنا لك : وكيف عرفت ؟. فقلت: رأيته بعيني ، لقلنا لك :

صدقت ، ولو قلت : إن فلاناً قد حج إلى بيت الله الحرام وأدى المناسك ، فطالبناك بالدليل ، فقلت : كان معي ، لقلنا لك : صدقت .. وهكذا في سائر العبادات .

أما إذا أقسمت على أن فلاناً قد صام فقلنا لك : ما دليلك ؟ . صعب عليك إثبات ذلك ، فمن أدراك أنه صائم ؟ .

لذا كان الصوم لله وحده لا يعرف أمره ولا سره إلا من أطلع على أسرار النفوس وخبايا الصدور .

عَنْ صَفْوَانَ ، عَن أَبي سَعِيد ، عَنِ النبِى صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ صَامَ يَومًا فِي سَبِيلِ الله ، عَز وَجَل ،

بَاعَدَ الله وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَمَ سَبْعِينَ عَامًا. **أخرجه أحمد ٣/٤٥(١١٤٣٦). والنسائي ٤/١٧٣ وفي "الكبرى" ٢٥٦٧.**

فعلى الرغم أن الله تعالى قال في محكم تنزيله : " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) **سورة الأنعام.**

إلا أن الصوم له خصوصية عبادة السر التي لا يطلع عليها إلا رب العزة تبارك وتعالى .

فالله تعالى يريد من عباده أن يجعلوا عبادتهم ونسكهم خالصة له تعالى وحده حتى تقبل ، في الحديث المرسل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ الله، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَتْ: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف: ١١٠]. **البيهقي : شعب الإيمان ٣٤١/٥.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِىَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِى سَبِيلِ الله وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ

وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ . وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ . وَيُؤْتَى بِالَّذِى قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِى مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِى سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِىءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ . ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى رُكْبَتِى فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. **أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٢) و"الترمذي" ٢٣٨٢ و"النَّسائي" في "الكبرى" ١١٨٢٤ و"ابن خزيمة" ٢٤٨٢ .**

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى للهِ وَلِيًّا ، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ. **أخرجه ابن ماجة (٣٩٨٩) ، والحاكم (٣٢٨/٤) ، والبيهقي أيضا في " شعب الإيمان " (١/٢٣١٦) الألباني انظر حديث رقم: ٢٠٢٩ في ضعيف الجامع**

وفي الصحيح من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأعلمنَّ أقوامًا مِن أمتي يومَ القيامةِ يأتون بحسناتٍ كأمثالِ الجبال بيضًا، يجعلُها اللهُ هباءً منثورا". قال ثوبان: صفهم لنا أنْ لا نكون منهم يا رسول الله! قال: "أما إنهم إخوانُكم، ومن جِلدَتِكم، ويأخذون مِن الليلِ كما تأخذون، لكنهم إذا خَلَوا بمحارمِ اللهِ انتهكوها".**أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) (صحيح) انظر حديث رقم:**

٥٠٣٨ في صحيح الجامع .

يروى أن مسلمة بن عبد الملك كان في جملة من الجند يحاصرون إحدى قلاع الروم ، وكانت محصنة والدخول إليها صعباً إلا من نقب فيها تخرج منه أوساخ المدينة ، فوقف مسلمة ينادي في الجند : من يدخل النقب ويزيح الصخرة التي تحبس الباب ويبكر حتى ندخل فقام رجل قد غطى وجهه بثوبه وقال إنا يا أمير الجند ودخل النقب وفتح الباب ودخل الجند القلعة فاتحين .. وبعدها وقف مسلمة بين الجند ينادي عن صاحب النقد حتى يكرمه على ما فعل ، وكان يردد من الذي فتح لنا الباب فما يجيبه احد ! فقال أقسمت على صاحب النقب أن يأتيني في أي ساعة من ليل أو نهار . فطُرق باب مسلمة طارق ليلاً ، فيلقاه مسلمة مستبشراً أنت صاحب النقب فقال الطارق هو يشترط ثلاثة شروط حتى تراه . قال مسلمة وما هي . قال : ألا ترفع اسمه لدى الخليفة ولا تأمر له بجائزة ولا تنظر له بعين من التمييز ، قال مسلمة افعل له ذلك . فقال الطارق أنا صاحب النقب وانصرف وترك جيش مسلمة ذاهبا إلى سد الثغور في أماكن أخرى" **(ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٧٣/٧) .**

لذا فإن الصوم يربينا ويعلمنا على أفضل العبادات : عبادة السر ، يقول ابن القيم – معلقاً على عبارة أمير المؤمنين : " ومن تزين بما ليس فيه شانه الله " : " لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص ، فإنه يظهر للناس أمراً وهو في الباطن بخلافه ، عامله الله بنقيض قصده ، فإن المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شرعاً وقدراً ، ولما كان المخلص يُعجَّل له من ثواب إخلاصه الحلاوة والمحبة والمهابة في قلوب الناس ، عجَّل للمتزين بما ليس فيه من عقوبته ، أن شانه الله بين الناس ، ؛ لأنه شان باطنه عند الله ، وهذا موجب أسماء الرب الحسنى وصفاته العليا " **(إعلام الموقعين : ١٨٠/٣).**

ورضي الله عن عمر الفاروق القائل : " فمن خلصت نيته في الحق ، ولو على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزّين بما ليس فيه شانه الله " .

قال ابن أبي عون: صام داوود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهلـه ،،كـان يحمل معه غذاءه فيتصدق به في الطريق، قال ابن الجوزي :فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت ويظن أهله أنه قد أكل في السوق.**التذكرة الحمدونية ٥١/١.**

فكما أن هؤلاء قد أخلصوا لله تعالى في صومهم فإنهم أيضا يجب أن يخلصوا لـه في سائر عبادتهم ، فيخلصون له في صلاتهم ويجعلونها له سبحانه وحده ، لـذا كانت صلاة الليل من أفضل الصلوات لأنها تكون سراً بين العبد وربه ، وقال تعالى في وصف المؤمنين المتقين : " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِـذِينَ مَـا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَـا يَهْجَعُـونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْـرُومِ (١٩) **سورة الذاريات .**

عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أتاني جبريل ، فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت أحبب من شئت ، فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل عزه اسـتغناؤه عـن النـاس " **.أخرجه الطبراني في " الأوسط " (١ / ٦١ / ٣ و أبو نعيم في " الحلية " (٣ / ٢٥٣) و الحاكم (٤ / ٣٢٤ – ٣٢٥) و قال : " صحيح الإسناد " ! و وافقه الذهبي ! الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٥٠٥.**

عَنْ زَيْدِ بْنِ ظَبْيَانَ ، يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَـالَ: ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، وَثَلاَثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًـا فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَمَنَعُوهُ ، فَتَخَلَّفَ رَجُـلٌ بِأَعْقَـابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا ، لاَ يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّـى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا ، وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ . وَالثَّلاَثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ : الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْفَقِيـرُ الْمُخْتَـالُ ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ. **أخرجه "أحمد" ٥/١٥٣ (٢١٦٨٣) و"التِّرمِذي" ٢٥٦٨ و"النَّسائي"**

٣٠٧/٣ و٨٤/٥ ، و"ابن خزيمة" ٢٤٥٦ و٢٥٦٤ و"ابن حِبان" ٣٣٤٩.

أخرج الإمام أحمد **في الزهد (ص ١٤٨) وعنه أبو نعيم الأصفهاني في الحلية (١٦٥/١) والبيهقي في الشعب (٤١٦/٥-٤١٧)**: إن أبا ذر كان يقول : (يأيها الناس إني لكم ناصح ، إني عليكم شفيق ، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يأيها الناس إني لكم ناصح ، إني عليكم شفيق) .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" :مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ."**أخرجه أبو داود (٧٠/٢ ، رقم ١٤٥١ ، والنسائى فى الكبرى (٤١٣/١ ، رقم ١٣١٠) ، وابن ماجه (٤٢٣/١ ، رقم ١٣٣٥) ، وابن حبان (٣٠٨/٦ ، رقم ٢٥٦٩) ، والحاكم (٤٦١/١ ، رقم ١١٨٩ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. والبيهقى (٥٠١/٢ ، رقم ٤٤٢٠) ، وصححه الألباني في المشكاة (١٢٣٨) ، والتعليق الرغيب ٢١٧ ، وصحيح أبي داود (١١٨٢) وصحيح الجامع ٣٣٣.**

قال العلامة شمس الحق العظيم أبادي في" عون المعبود شرح سنن أبي داود": وَفِي الْحَدِيث إِشَارَة إِلَى تَفْسِير الْآيَة الْكَرِيمَة إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) **سورة الأحزاب .**

عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا فَجِئْتُ فِى النَّاسِ لأَنْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَىْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ.

أخرجه أحمد ٤٥١/٥(٢٤١٩٢) و"ابن ماجة" ١٣٣٤ والتِّرْمِذِيّ" ٣٤٨٥ الألباني : الصحيحة ١١٣/٣.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ.)". **أخرجه أحمد ٢٥٠/٢(٧٤٠٤) و((أبو داود)) ١٣٠٨ و((ابن ماجة)) ١٣٣٦.**

قال الشاعر :

يا رَجالَ الليلِ جِدُّوا * * * رُبَّ صَوتٍ لا يُرَدُّ

ما يقوم الليل إلا * * * من له عزم وجِدُّ

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ ؟ قَالَ : يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ ، جَاهِدًا ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ. **أخرجه ابن خزيمة ٣٧ ، صحيح الترغيب والترهيب ٨/١.**

كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: "لأن أصلي في جوف الليل ركعة أحبُّ إليَّ من أن أصلي بالنهار عشر ركعات".

قال الشاعر :

لله قوم أخلصوا في حبه * فأختصهم ورضا بهم خداماَ**

قوم إذا هجم الظلام عليهم * قاموا فكانوا سجدا و قياما**

يتلذذون بذكره في ليلهم * و نهارهم لا يفترون صياما**

فسيفرحون بورد حوض محمد * و سيسكنون من الجنان خياما**

و سيغنمون عراسا بعراسٍ * و يبوءون من الجنان مكانا**

و تقر أعينهم بما أخفى لهم * و سيسمعون من الجليل سلاما**

كان هناك رجلا اشترى غلاما،فقال الغلام: يا مولاي إن لي معك ثلاثة شروط -: احدها:أن لا تمنعني عن الصلاة المكتوبة إذا جاء وقتها .ثانيها: أن تأمرنى بالنهار

ما شئت ولا تأمرنى بالليل . ثالثها:أن تجعل لي منزلا في بيتك لا يدخله غيـــري . فقال له الرجل:لك هذه الشروط انظر في البيوت فاختار الغلام بيتا خرابا .فـــسأله الرجل عن السبب . فأجاب الغلام-:يا مولاي أما علمت أن الخراب مع الله بستان . فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ للعبادة بالليل وفى يوم طاف مولاه في الدار فبلغ حجرته فإذا هـــي منـــورة والغـــلام ســـاجد وعلـــى رأســـه قنـــديل مـــن نـــور معلق بين السماء والأرض والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول:الهي أوجبت علـــى حق مولاي خدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلـــى ولا نهـــاري إلا بخـــدمتك فاعذرني يا رب. ومولاه ينظر إليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل ،فاخبر امرأتـــه فلما كانت الليلة الثانية اخذ بيد امرأته واراها ما يحدث وظلا يبكيان حتى الصباح فدعا الغلام ،وقال له:أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتـــذر إليه فرفع الغلام يده إلى السماء وقال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا * * * ولا أريد حياتي بعدما اشتهرا

ثم خر الغلام ميتا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: كَمْ مِنْ أَشْـــعَثَ ، أَغْبَرَ ، ذِي طِمْرَيْنِ ، لاَ يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ.

أخرجه التِّرْمِذِي (٣٨٥٤)الألباني:رقم: ٤٥٧٣ في صحيح الجامع .

كان بشر الحافي يقول : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ العِزِّ، وَأَنَّ الفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى، وَأَنَّ المَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ البَقَاءِ. وَعَنْهُ، قَالَ: قَدْ يَكُوْنُ الرَّجُلُ مُرَائِياً بَعْدَ مَوْتِه، يُحِبُّ أَنْ يَكْثُرَ الخَلْقُ فِي جِنَازَتِهِ. لاَ تَجِدُ حَلاَوَةَ العِبَادَةِ حَتَّى تَجعَلَ بَيْنَـــكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ سُدّاً. **السير ١٩/٤٦٦.**

وكما أخلصوا في صلاتهم وجعلوها سراً بينهم وبـــين ربهـــم فـــإنهم – كـــذلك – يخلصون في صدقاتهم ويجعلونها خالصة له تعالى وحده ، قال تعـــالى : " الَّـــذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) **سورة البقرة .**

وقال تعالى: " وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) **سورة الرعد.**

وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) **سورة فاطر.**

عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ : صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيْدُ فِي الْعُمرِ ، وَفِعلُ الْمَعْرُوف يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ . **شعب الإيمان (٣٤٤٣) صحيح الجامع (٣٧٦٠).**

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِى خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا فِي الْمَسْجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ : إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ. **أخرجه : البخاري ١٣٨/٢ (١٤٢٣) ، ومسلم ٩٣/٣ (١٠٣١) (٩١).**

وهذا علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره ،ويوصل ذلك إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة ، ولا يعلمون من وضعها ، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره .. لئلا يطلع عليه أحد .. وبقي كذلك سنوات طويلة ، وما كان الفقراء والأرامل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام .. فلما مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد ، فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره ، فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين وعن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين!!. **الحلية ١٣٦/٣ ، صفة الصفوة ٩٦/٢.**

ولا يكون الإخلاص في الصوم والصلاة والصدقة بل في سائر أعمالهم ، عن قيس بن أبي حازم قال سمعت الزبير بن العوام يقول أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل . **الزهد لابن المبارك ٣٩٣.**

قال الخُريبي : كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عملٍ صالح لا تعلم بـه زوجته ولا غيرها . " **تهذيب الكمال ": ٦٧٨.**

كان أبوبكر رضي الله عنه إذا صلى الفجر خرج إلى الصحراء ، فاحتبس فيها شيئا يسيرا ، ثم عاد إلى المدينة . فعجب عمر رضي الله عنه من خروجه فتبعه يوما خفية بعدما صلى الفجر فإذا أبوبكر يخرج من المدينة ، ويأتي على خيمة قديمة في الصحراء فاختبأ له عمر خلف صخرة ، فلبث أبوبكر في الخيمة شيئا يسيرا ثم خرج فخرج عمر من وراء صخرته ودخل الخيمة فإذا فيها امرأة ضعيفة عمياء وعندها صبية صغار ، فسألها عمر : من هذا الذي يأتيكم ، فقالت : لا أعرفه ، هذا رجل من المسلمين يأتينا كل صباح منذ كذا وكذا ، قال : فماذا يفعل ؟ قالت : يكنس بيتنا ، ويعجن عجيننا ويحلب داجننا ثم يخرج . فخرج عمر وهو يقول : لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر ، لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر . **تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٢/٣٠.**

روي أن يوم المحشر سأل عبد ربه : يا رب أين فلان وفلان لم أرهم؟ قال جل وعلا هؤلاء عبدوني سرا فأدخلتهم جنتي سرا.

ولقد ضرب السلف الصالح رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في حسن الإخلاص في العبادة لله رب العالمين ، من ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه كان يصلي في بيته فإذا شَعَرَ بأحدٍ قطع صلاة النافلة ونام على فراشه – كأنه نائم – فيدخل عليه الداخل ويقول: هذا لا يفتر من النوم؟! غالب وقته على فراشه نائم؟! وما علموا أنه يصلي ويخفي ذلك عليهم .

قال الأعمش: كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف، فاستأذن عليه رجل فغطّى المصحف وقال: لا يراني هذا أنّي أقرأ فيه كل ساعة.

وللإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته، ولما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما إذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده ، فأظهرت كتبه بعد ذلك.

ودخل عبد الله بن محيريز دكاناً يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل قد عَرَفَه لصاحب المحل: هذا ابن محيريز فأحسِن بيعه، فغضب ابن محيريز وطرح الثوب وقال " إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا ".

وروى صاحب طبقات الحنابلة: أن عبد الغني المقدسي المحدث الشهير، كان مسجوناً في بيت المقدس في فلسطين، فقام من الليل صادقاً مع الله مخلصاً، فأخذ يصلي، ومعه في السجن قوم من اليهود والنصارى، فأخذ يبكي حتى الصباح، فلما أصبح الصباح ورأى أولئك النفر هذا الصادق العابد المخلص، ذهبوا إلى السجان، وقالوا: أطلقنا فإنا قد أسلمنا، ودخلنا في دين هذا الرجل، قال: ولِمَ؟ أدعاكم للإسلام؟ قالوا: ما دعانا للإسلام، ولكن بتنا معه في ليلة ذكرنا بيوم القيامة..!.

ورأى ابن عمر رجلاً يُصلي ويُتابع فقال له: ما هذا؟ قال: إني لم أصل البارحة، فقال ابن عمر: أتريد أن تخبرني الآن ! إنما هما ركعتان.

ووقف رجل يصلي في المسجد، فسجد وجعل يبكي بكاءً شديداً، فجاء إليه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه فقال: " أنت .. أنت .. لو كان هذا في بيتك ".

كان الإمام أحمد يقول: " أحب أن أكون بشعبٍ في مكة حتى لا أُعرف، قد بُليتُ بالشهرة، إنني أتمنى الموت صباحاً ومساءً ".

قال الشافعي: " وددت أن الناس تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليَّ منهُ شيء ".

روي عن ابن الجوزي عن الحسن أنه قال: كنت مع ابن المبارك فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه،

فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعـرف ولـم نـوقر. **انظر : خمسون قصة من إخلاص السلف : أرشيف ملتقى المحدثين (الموسوعة الشاملة ٤٠٣/٢).**

فتعلم من الصوم حسن الإخلاص لله تعالى ، وحسن المراقبة له وحده ، وتعلم منه أن تدفن حسناتك كما تدفن سيئاتك .

اللهم اجعلنا ممن يقولون فيعملون ، ويعملون فيخلصون ، ويخلصون فيقبلـون ، ويقبلون فيفوزون .

صام عن الحلال وأفطر على الحرام

من فوائد الصوم أنه يربي المسلم على التقوى والخشية والمراقبة من الله تعالى قال عز من قائل : " فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " **سورة التوبة :١٣.**

لذا فقد جعل الله سبحانه الصوم سراً بينه وبين عبده ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّ الصَّوْمَ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِىَ اللَّهَ فَرِحَ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. **أخرجه أحمد ٢/٢٣٢(٧١٧٤) .**

والصوم الحقيقي هو الذي تصوم فيه الجوارح والأعضاء عن كل ما حرم الله عز وجل ، فيصوم القلب عن الكبر والحسد والغل والحقد ، ويصوم اللسان عن الكذب وشهادة الزور والحلف الباطل والغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن والقذف والسخرية والاستهزاء ، وتصوم العين تصوم عن النظر المحرم ، والأذن تصوم عن التصنت على الناس وسماح الباطل ، واليد تصوم عن الرشوة وأذى الناس والاعتداء عليهم ، والرجل تصوم عن المشي إلى الحرام وأماكن الفسق والفجور ، والبطن تصوم عن أكل الحرام وعن كل ما يفطر في شهر الصيام.

يقف بي مسكين يقف أمام الحجاج بن يوسف الثقفي فيدعوه الحجاج إلى الطعام ، فيقول الأعرابي له : يا حجاج لقد دعاني من هو أفضل منك ... إنني اليوم صائم ومدعو على مائدة الرحمن ..فيجيب الحجاج : يا أعرابي أتصوم هذا اليوم وهو شديد الحرارة ؟فيقول الأعرابي المؤمن : يا حجاج .. أصومه ليوم أشد منه حراً .فيجيب الحجاج : أفطر اليوم .. وصم غداً .فيجيب الأعرابي وكله ثقة وإيمان : يا حجاج .. هل اطلعت على الغيب فوجدتني سأعيش إلى الغد .

قال الشاعر :

إن الملوك إذا شابت عبيدهم * في رقهم أعتقوهم عتق أبرار**

وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً * قد شبت في الرق فاعتقني من النار**

والعجيب أن بعض الناس لم يفهموا معنى الصوم الحقيقي وأنه امتناع عن كل ما حرم الله تعالى ، فتجدهم طوال نهارهم يصوم عن الطعام والشراب فقط لكنهم لا يصومون عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة والحقد والباطل ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ. **خرجه مالك "الموطأ" ٣٠٦ . و"أحمد" ٢٤٥/٢(٧٣٣٦) و"البُخاري" ١٨٩٤ و"مسلم" ١٥٧/٣ .**

وعَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ: فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : قِيئِي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. **أخرجه أحمد ٤٣١/٥(٢٤٠٥٣).**

كما أن بعض الناس حينما يؤذن للفطر عند المغرب يفطرون على الحرام ، فتجد أحدهم مع أو كلمة في الأذان (الله أكبر) يشعل السيجارة أو الدخان ، وينسى أنه طوال نهاره صام عن الحلال ولا يجوز له أن يفطر على الحرام .

كما تجد بعضهم أيضا يقضى نهاره نائما وليله لاهيا ، فلا هو شغل نهاره في طاعة وإفادة ولا قضى ليله في قيام وعبادة .

الصومُ جُنَّةُ صائمٍ من مَأْثَمٍ ***يَنْهى عن الفحشاء والأوشابِ

الصومُ تصفيدُ الغرائزِ جملةً * وتحررٌ من رِبْقةٍ برقابِ**

ما صامَ مَنْ لم يَرْعَ حقَّ مجاورٍ * وأُخُوَّةٍ وقرابـةٍ وصحابِ**

ما صامَ مَنْ أكَلَ اللحومَ بِغيـبَةٍ * أو قـالَ شراً أو سَعَى لخرابِ**

ما صامَ مَنْ أدّى شهادةَ كاذبٍ * وأَخَلَّ بـالأَخـلاقِ والآدابِ**

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال .

نساؤنا في رمضان

النساء المسلمات في شهر رمضان نساء متميزات في عبادتهن وأخلاقهن ، فلقد جعلهن الله تعالى في درجة مساوية للرجال في التكاليف والعبادات ، فقال سبحانه : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) **سورة الأحزاب** ، وقال : " مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) **سورة التحريم**.

لذا فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمراجعة حفصة بعد تطليقها وعلل له ذلك بأنها صوامة قوامة وبأنها زوجته في الجنة ،وفي هذا تكريم للمرأة التي تحسن الصوم ، عن ابن عمر قال : دخل عمر على حفصة وهي تبكي فقال لها : وما يبكيك ؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك إن كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي والله لئن طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا . وللحديث شواهد مختصرة عن أنس قال : لما طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة أمر أن يراجعها فراجعها . وإسناده صحيح . وله شاهد عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد ! طلقت حفصة وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة ؟ . **الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٥ / ١٥ : أخرجه داود (٢٢٨٣) والنسائي (٢ / ١١٧) والدارمي (٢ / ١٦٠ – ١٦١) وابن ماجة (٢٠١٦) وأبو يعلى في " مسنده " (١ / ٥٣) والحاكم (٢ / ١٩٧) والبيهقي (٧ / ٣٢١ – ٣٢٢).**

والمرأة المسلمة في رمضان تقوم بواجبها نحو ربها ثم نحو زوجها ،فهي تصوم النهار حق الصيام وتقوم الليل حق القيام ، فلا تقصر ولا تتعلل بالصوم ، بل تتعلم

من الصوم معاني التقوى والصبر والتحمل ، عن ابن سيرين قال: خرجت أمّ أيمن مهاجرة إلى الله ورسوله وهي صائمة ليس معها زاد، ولا حمولة، ولا سقاء، في شدّة حرّ تهامة، وقد كادت تموت من الجوع والعطش ، حتى إذا كان الحين الذي يفطر فيه الصائم سمعت حفيفا على رأسها، فرفعت رأسها فإذا دلْوٌ معلّق برشاء أبيض، قالت : فأخذته بيدي فشربت منه حتى رويت، فما عطشتُ بعد، فكانت تصوم وتطوف لكي تعطش في صومها فما قدرت على أن تعطش حتى ماتت"

•مصنف عبد الرزاق ٣٠٩/٤.

وهذه هي السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد ابن السيد سبط النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي (رضي الله عنهما) "كانت رحمها الله وأكرمها بين الصالحات العوابد، زاهدة، تقية نقية، تقوم الليل، وتصوم النهار حتى قيل لها: "ترفقي بنفسك" لكثرة ما رأوا منها فقالت: "كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟" حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن وتفسيره .قال عنها ابن كثير: "كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير"."توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: "واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن هذا لا يكون" وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله: (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) .

ويرحم الله من قال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * * * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم [علي] حين تنسبهم * * * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا * * * مُرزَّءون بهاليل إذا حشدوا

محسدون على ما كان من نعم * * * لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

قال عمر: "أحسن، وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقرابتهم منه" . **انظر : مرآة الزمان (٨٣) ، "تاريخ الطبري" (٥٧٧/٣–٥٧٨).**

فهي بالنهار تصوم حق الصوم للعزيز الغفار فتبتعد بصومها عن اللغو والباطل والغيبة والنميمة والقيل والقال ، عَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ : فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : قِيئِي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. **أخرجه أحمد ٤٣١/٥(٢٤٠٥٣).**

فهي تدرك أنه لا معني للصوم بدون حسن الخلق والبعد عن السيء من القول والفعل ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : هِيَ فِي النَّارِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاَتِهَا ، وَأَنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ؟ قَالَ : هِيَ فِي الْجَنَّةِ. **أخرجه أحمد ٤٤٠/٢(٩٦٧٣) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ١١٩.**

وهي كذلك تحرص على الصلاة بالمسجد إذا تيسرت الأمور لذلك ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ. **أخرجه أحمد ١٦/٢(٤٦٥٥) و"البُخَاريّ" ٧/٢(٩٠٠) و"مسلم" ٣٢/٢(٩٣١).**

وتصطحب أولادها الصغار معها لتدربهم على الصلاة وتعلمهم آداب المسجد، وكيف يتعاملون مع الناس .

وهي بالليل متهجدة عابدة لربها تعين نفسها وتعين زوجها وأولادها على القيام

والتهجد لله رب العالمين ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ.)". **أخرجه أحمد ٢/٢٥٠(٧٤٠٤) و((أبو داود)) ١٣٠٨ و((ابن ماجة)) ١٣٣٦.**

وهذا ما كان يؤكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان ينتهز فرصة العشر الأواخر من رمضان فيوقظ أهله ويشجعهم على التهجد والقيام ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا . قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إذا دَخَلَ الْعَشْرُ ، شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَاحْيَا لَيْلَهُ ، وأيقظ أهله. **أخرجه "أحمد" ٦/٤٠ و"البُخَارِي" ٣/٦١ و"مسلم" ٣/١٧٥.**

وعَنْ أم سَلَمَةَ . قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ : لا إِلَهَ إلا الله مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ ؟ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ . كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. **أخرجه "أحمد" ٦/٢٧٩ ، و"البُخَارِي" ١/٣٩ .**

وعَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ لِي: قُومِي فَاوْتِرِي. **أخرجه أحمد ٦/١٥٢.**

كان أبو هريرة يقسم الليل أثلاثا بينه وبين جاريته وبين أمه ، وكان الحسن بن صالح – أحد عباد التابعين – يقسم الليل بينه وبين أمه وبن أخيه علي، فلما ماتت أمه صار يقسم الليل بينه وبين أخيه، فلما مات أخوه صار يقوم الليل كله.

وتزوج رياح القيسى امرأة وكانت من العابدات فرآها تعجن بالنهار فقال لها: أحضر لك أمة، فقالت: لقد تزوجت رياحا ولم أتزوج جبارا عنيدا، فلما كان الليل أراد أن يختبر زوجته فتناوم الرجل، فقامت المرأة ثلث الليل، ثم أرادت أن توقظه فقال: سأقوم. فقامت المرأة الثلث الثاني ثم أرادت أن توقظه فقال: سأقوم. فقالت: ليت شعري من غرّني بك يا رياح. **ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤/٤٤.**

وكانت الأم الصالحة " هنيدة " رحمها الله إذا مضى ثلث الليل أو نصفه ، أيقظت

زوجها وأولادها ومواليها لقيام الليل ،وكانت تقول لهم : قوموا فتوضأوا وصلوا ، فستغتبطون) أي ستفرحون) بكلامي هذا فكانوا يقومون ويصلون ،، وكان هذا دأبها وعادتها حتى ماتت ،فلما ماتت رأى زوجها في المنام قائلا يقول له : إن كنت تحب أن تتزوجها هناك (أي في الجنة) فاخلفها في أهلها بمثل فعلها.فكان زوجها يفعل مثلما كانت تفعل في الليل ، وظل على هذا الحال حتى وافاه الأجل ومات .فرأى ابنها الأكبر قائلا يقول له في المنام : إن كنت تحب أن تلحق بدرجة أبويك في الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما ،فكان الابن الأكبر يصنع كصنيع أمه وأبيه بالليل ،ولم يزل كذلك حتى مات ، فكان الناس يسمون أهل تلك الدار " : القوامين" **صفة الصفوة لابن الجوزي٤/٣٩١.**

وهي – كذلك – تجعل من بيتها في شهر رمضان قبلة للإيمان وواحة للطاعة والإحسان ، فهي تشجع أولادها وتدربهم على الصوم كما تربيهم وتدربهم على الصلاة وعلى الصدقة والجود ، قال تعالى : " وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) **سورة يونس .**

فتجعل من بيتها بيتا إيمانيا ربانياً تعلو فيه كلمة الله أكبر ويظلله التسبيح والتهليل والتكبير ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : كان أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلاَنِيُّ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ ثُوَبٍ ، يَمَانِيٌّ ، تَابِعِيٌّ ، مِنْ أَفَاضِلِهِمْ وَأَخْيَارِهِمْ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ الْعَنْسِيُّ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ ، فَأُجِّجَتْ وَخَوَّفَهُ أَنْ يَقْذِفَهُ فِيهَا إِنْ لَمْ يُوَاتِهِ عَلَى مُرَادِهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَقَذَفَهُ فِيهَا ، فَلَمْ تَضُرَّهُ فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْيَمَنِ ، فَأُخْرِجَ فَقَصَدَ الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ الْفَتَى الَّذِي أُحْرِقَ ؟ فَقَالَ : لَمْ يَحْتَرِقْ ، فَتَفَرَّسَ فِيهِ عُمَرُ أَنَّهُ هُوَ ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ أَبُو مُسْلِمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عُمَرُ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَسُرَّا بِذَلِكَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ أُحْرِقَ فَلَمْ يَحْتَرِقْ ، مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ لَهُ امْرَأَةٌ

صَبِيحَةُ الْوَجْهِ ، فَأَفْسَدَتْهَا عَلَيْهِ جَارَةٌ لَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهَا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعْمِ مَنْ أَفْسَدَ عَلَيَّ امْرَأَتِي. فَبَيْنَمَا الْمَرْأَةُ تَتَعَشَّى مَعَ زَوْجِهَا إِذْ قَالَتِ : انْطَفَأَ السِّرَاجُ ؟ قَالَ زَوْجُهَا : لاَ ، فَقَالَتْ : فَقَدْ عَمِيتُ ، لاَ أُبْصِرُ شَيْئًا ، فَأُخْبِرَتْ بِدَعْوَةِ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَيْهَا ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ : أَنَا قَدْ فَعَلْتُ بِامْرَأَتِكَ ذَلِكَ ، وَأَنَا قَدْ غَرَّرْتُهَا وَقَدْ تُبْتُ ، فَادْعُ اللَّهَ يَرُدُّ بَصَرِي إِلَيَّ ، فَدَعَا اللَّهَ وَقَالَ : اللَّهُمَّ رُدَّ بَصَرَهَا ، فَرَدَّهُ إِلَيْهَا. **صحيح ابن حبان ٣٣٩/٢ ، صفة الصفوة ٢١٣/٤ ، حلية الأولياء ١٣٠/٢.**

والمرأة المسلمة أيضا في رمضان تحرص كل الحرص على تعلم أحكام الصوم الخاصة بها ، فتتعلم أن الصوم واجب على كل مسلمة بالغة عاقلة مقيمة « غير مسافرة » قادرة « غير مريضة» سالمة من الموانع كالحيض والنفاس ،وأن الفتاة أثناء النهار لزمها الإمساك بقية اليوم ؛ لأنها صارت من أهل الوجوب ، ولا يلزمها قضاء ما فات من الشهر؛ لأنها لم تكن من أهل الوجوب.

وتتعلم بأن مفسدات الصوم سبعة هي: الجماع وإنزال المني بمباشرة أو ضم أو تقبيل، والأكل والشرب عمداً ، وما كان بمعنى الأكل والشرب كالإبر المغذية ،وإخراج الدم بالحجامة والفصد ،والتقيؤ عمداً ، وخروج دم الحيض والنفاس .

كما تتعلم أن الحامل إذا رأت القصة البيضاء ـ وهو سائل أبيض يدفعه الرحم بعد انتهاء الحيض ـ التي تعرف بها المرأة أنها قد طهرت ، تنوي الصيام من الليل وتصوم ، وإن لم يكن لها طهر تعرفه احتشت بقطن ونحوه ، فإن خرج نظيفاً صامت ، وإن رجع دم الحيض أفطرت ، وأن دم الاستحاضة لا يفسد الصوم ، إلى غيرها من الأحكام الشرعية ومن فقه المرأة الصائمة .

فرمضان فرصة لكل امرأة مسلمة لكي تتصالح مع ربها وتصلح من علاقتها بنفسها وبمن حولها ، ولتعلم أن الصوم الحقيقي تربية وتهذيب وتأديب .

أولادنا في رمضان

مسؤولية تربية الأولاد مسؤولية كبرى تقع ابتداءً على عاتق الوالدين ؛ فهما المحضن الأول والمدرسة الأولى التي يتربى فيها الأطفال على المباديء والقيم ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) **سورة التحريم.**

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. **أَخْرَجَهُ أحمد ٢/١٢١(٦٠٢٦) و"البُخَارِي" ٦/٢ و٦/٤(٢٧٥١) و"مسلم" ٦/٨(٤٧٥٥).**

وصلاح الأبناء يعود بالسعادة على الوالدين في الدنيا والآخرة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ ، انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. **أخرجه أحمد ٢/٣٧٢(٨٨٣١) و"الدارِمِي" ٥٦٥ و"البُخَارِي" في الأَدب المفرد (٣٨) و"مسلم" ٥/٧٣.**

قال الشاعر : صالح بن عبدالقدوس :

وإن من أدبته في زمن الصبا * * * كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * * * بعد الذي أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه * * * حتى يوارى في الثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله * * * كذي الضنى عادا إلى نكسه

لذا فإن على الوالدين السعي الدءوب في إصلاح الأولاد وإتباع كافة السبل

الممكنة في تهذيبهم وتأديبهم .

يروي لنا التاريخ أن عمر بن عبد العزيز كان قد أرسله أبوه وهو شاب صغير إلى المدينة المنورة ليتعلم فيها الفقه وعلوم الدين، وكان صالح بن كيسان مؤدبه والقائم على أمر ملازمته وتوجيهه وإرشاده، وفي ذات يوم انتبه هذا المؤدب أن عمر بن عبد العزيز لم يحضر صلاة الجماعة وتخلف عنها، فذهب إليه ليستطلع الأمر فسأله قائلاً: ما أخرك عن صلاة الجماعة؟ فأجاب عمر: كانت مرجلتي تسكن شعري، فأجابه صالح متعجباً: وبلغ من تسكين شعرك أنه يؤخرك عن الصلاة!! وكتب بذلك إلى أبيه عبد العزيز بن مروان، فما كان من أبيه إلا أن أمر بحلق رأسه تأديباً له وتربية وتعليماً حتى لا يعود لمثلها.(**سير أعلام النبلاء ١٣٣/٩**).

وكان لشريح ابن يدع الكتاب ويهارش الكلاب قال فدعا بقرطاس ودواه فكتب إلى مؤدبه:

تَركَ الصلاةَ لأَكْلُبٍ يَسعى بها * * طلب الهِراش مع الغواةِ الرُّجس

فإذا خَلَوْتَ فَعَضّه بِمَلاَمَةٍ * * وِعظَنْهُ وَعْظَكَ للأريبِ الكَيس

وإذا هَمَمْتَ بضَرْبِه فبدرَةٍ * * وإذا بلغتَ بها ثلاثاً فاحْبِس

واعْلَمْ بأنك ما فعلتَ فنفسُه * * مع ما يُجَرعُني أعَز الأنْفُس

انظر : حلية الأولياء :أبو نعيم الأصبهاني ١٣٧/٤، وأخبار القضاة لوكيع ٣٠٧.

ومن سبل تعظيم الصوم وشهر رمضان في نفوس الأبناء :

١- عند الاستعداد لاستقبال الشهر يجب الاهتمام بإظهار الفرح والبشر بقدوم شهر رمضان ليشعر الأولاد بأهمية الضيف الجديد ، وبيان عقوبة من يجاهر بالفطر فيه ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أَتاني رجُلان، فأَخذاَ بضَبعَيَّ، فأَتيَا بي جَبَلاً وعراً، فقالا: اصعد. فقلتُ: إنِّي لا أُطِيقُه. فقالا: إنّا سنُسهّله لك. فصعِدتُ حتّى إذا كنتُ في سَواءِ الجبَل؛ إذا أنا بأصواتٍ شديدةٍ، قلتُ: ما هذه الأصواتُ؟ قالوا: هذا عُواء أهلِ النّارِ ثم انطلقَا بي؛ فإذا أنا بقوم معلَّقينَ بعَراقِيبهم، مشقّقة أشداقُهم، تسيلُ أشداقُهم دماً، قال، قلتُ: من

هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تَحِلَّةِ صومِهم. **أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (٣٢٨٦/٢٤٦/٢/٤) وابن خزيمة في "صحيحه" (١٩٨٦/٢٣٧/٣)والطبراني في "المعجم الكبير" (٧٦٦٧) صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٥/٢.**

يروى أن أحد النصارى وكان يجاور المسلمين وجد ولده يأكل أمام المسلمين في نهار رمضان فزجره وضربه على ذلك وقال : عظم حرمة شهر رمضان كما يعظمه جيراننا من المسلمين ، وبعدها بأيام مات هذا الرجل فرآه أحد جيرانه من المسلمين في المنام في نعيم الجنة ، فلما سأله عن ذلك قال : لما عظمت حرمة رمضان أودع الله التوحيد في قلبي فمت على الإسلام .

٢- لتكن لكما جلسة مع أولادك في بداية رمضان وتحدثان الأولاد عن فضل الشهر الكريم وأبواب الجنة المفتوحة، وأنه فرصة لكل واحد أن يزيد حسناته ويتقرب إلى الله ، وتعريفهم بمعاني الصوم الحقيقية ،وأنه يجب عليهم البعد عن الفاحش من القول والفعل ، قال جابر الأنصاري رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

قال الإمام السبكي ــ رحمه الله ــ : " كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت : اخسأ كلب ابن كلب " قال : فزجرني والدي من داخل البيت ، قلت : سبحان الله أليس هو كلباً ابن كلب ، فقال: شرط الجواز عدم قصد التحقير ، قلت : وهذه فائدة " أهـــ.

٣- تعوييد الأولاد الصغار وتدريبهم على الصوم تدريجيا ،ورصد المكافأة على ذلك ، عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ . قالت: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ الَّتِى حَوْلَ الْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ . فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ

وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ. **أخرجه أحمد ٣٥٩/٦ و"البُخَارِي" ٤٨/٣.**

قال الشاعر :

وأغبى العالمين فتى أكول * * * لفطنته ببطنته انهزام

ولو أني استطعت صيام دهري * * * لصمت فكان ديدني الصيام

ولكن لا أصوم صيام قوم * * * تكاثر في فطورهم الطعام

فإن وضح النهار طووا جياعا * * * وقد هموا إذا اختلط الظلام

وقالوا يا نهار لئن تجعنا * * * فإن الليل منك لنا انتقام

وناموا متخمين على امتلاء * * * وقد يتجشئون وهم نيام

فقل للصائمين أداء فرض * * * ألا ما هكذا فرض الصيام

أحد الصالحين صامت ابنته الصغيرة وكان الجو شديد الحرارة فقال لها أفطري يا بنيتي فالجو شديد الحارة ولم يفرض عليك الصوم بعد ، فقالت له في ثبات ويقين : أصبر على الجوع والحر في الدنيا ولا أصبر على حر النار وغضب الجبار يوم القيامة .

٤- حث الأولاد على حسن تنظيم الوقت واستغلاله في الطاعة والعبادة ، وتحذيرهم من الملهيات وكثرة النوم والجلوس الطويل أمام التلفاز والتعلق بالمسلسلات وغيرها ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ. **أخرجه الترمذي (٢٤١٦) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٦٦٦.**

٥- تحديد وقت لقراءة الجزء المقرر من القرآن الكريم ، يجتمع جميع أفراد البيت للتناوب في القراءة ، وكذا حثهم على حضور مجالس ودروس العلم في المساجد ،

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَا أَبَا ذَرٍّ ، لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ ، عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ. **أخرجه ابن ماجة (٢١٩).**

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم " .

٦- تعوييد الأطفال على الجود والإحسان في رمضان ، وبيان فضل الصدقة فيه ، وتذكيرهم بقول الله تعالى :" مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) **سورة البقرة .**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. **أخرجه أحمد ١/٢٣٠(٢٠٤٢) و"البُخَارِي" ١/٤(٦).**

فعلينا أن نعود أولادنا في رمضان على كل خير وأن نجنبهم ونحذرهم من كل شر .

رمضان شهر العمل

العبادة والعمل في الإسلام صنوان لا يفترقان وقيمتان متلازمتان ، فالعبادة عمل يسعى به المسلم إلى إرضاء ربه ومولاه ،وهي المقصد الأسمى والأعلى من خلق الإنسان ، قال سبحانه : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) **سورة الذاريات.**

والعمل عبادة لأنه يحقق معنى الاستخلاف في الأرض الذي هو الغاية أيضا من خلق الإنسان ، قال عز من قائل : "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) **سورة هود.**

لذا فقد ربط سبحانه بين الصلاة كعبادة والسعي في الأرض كعبادة أيضاً ، قال تعالى : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) **سورة الجمعة .**

وربط النبي صلى الله عليه وسلم بين الصوم والعمل ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ : قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ.

أخرجه أحمد ٥/٢٠١(٢٢٠٩٦) ، و"النَّسائي" ٤/٢٠١.

لذا فقد رفض صلى الله عليه وسلم جعل الصوم تكأة وحجة لترك العمل ، والتعلل به وجعله سبيلا إلى العنت والمشقة ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى مَكَّةَ ، عَامَ الْفَتْحِ ، فِي رَمَضَانَ ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ ، فَصَامَ النَّاسُ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، فَأَفْطَرَ بَعْضُ النَّاسِ ، وَصَامَ بَعْضٌ

، فَبَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا صَامُوا ، فَقَالَ : أُولَئِكَ الْعُصَاةُ. **أخرجه "مسلم" ١٤١/٣(٢٥٧٩) و"النَّسائي" ١٧٧/٤، وفي "الكبرى" ٢٥٨٣.**

قال الشاعر :

رمضان سر الله في أيامه * * * يهدي العصي وللنعيم يقوده
فالليل تال والكتاب مرتل * * * ومن الملائكة الكرام شهوده
والذكر والدعوات في آنائه * * * سيل يفيض فلا تبين حدوده
والرحمة العظمى تبارك أهلها * * * ولكل أهل حظه وسعوده

إن المسلمين هم الذين حوّلوا هذا الشهر إلى شهر كسل وتراخٍ بما يسهرونه من الليل وينامونه من النهار، ولو أنهم صاموا حق الصيام، وتحرَّوا الوصول إلى مقاصد الصيام العظيمة لتحقق للأمة في هذا الشهر من الكفاية الإنتاجية ما يكفيها باقي السنة.

وتاريخ المسلمين الطويل شاهد على أن هذا الشهر هو شهر الإنتاج والعمل، وشهر الانتصارات الكبرى، حين تهب ريح الإيمان، ونسمات التقوى، وتتعالى صيحات الله أكبر فيتنزل النصر من الله تعالى، على قلة العَدد وقلة العُدد ، ومن أشهر الانتصارات الكبرى للمسلمين في شهر رمضان :

- **بدر الكبرى ٢هـ**

في العام الثاني من الهجرة، وفي شهر رمضان المبارك وقعت معركة هي من أهم المعارك الإسلامية، كيف لا وهي المعركة الأولى التي فصل الله فيها بين الحق والباطل، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل السفلى؟! كيف لا وهي أولى معارك الدولة الإسلامية؟! ولو لا أن الله كتب النصر في هذه المعركة لدينه ونبيه وجنده لاندثر الإسلام ولم تقم له قائمة، كما كان يخاطب النبي صلى الله عليه و سلم ربه ":اللهم إن تهلك هذه العصابة، فلن تعبد في الأرض " .

- **فتح مكة ٨هـ :**

وفي رمضان في السنة الثامنة للهجرة، كان الفتح الأعظم، فتح مكة

المكرمة،وتطهيرها من الرجس والأوثان والمشركين، وعلت كلمة الحق في حَرَم الله، وعاد إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم، هو وصحبه بعد ثماني سنوات قضوها في المدينة مجاهدين ناشرين لدين الله.

- **موقعة البويب ١٣هـ :**

وفي شهر رمضان من العام الثالث عشر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانت موقعة " البويب" على ضفاف نهر الفرات في بلاد فارس، بوصية من أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان قائد المسلمين المثنى بن حارثة، و انتصر المسلمون على الفرس، وارتفع فيها لواء الإسلام.

- **فتح الأندلس ٩٢هـ :**

وفي رمضان عام ٩٢هـ ، فُتحت الأندلس على يد طارق بن زياد، بعد أن انتصر المسلمون على جيوش القوط بقيادة روزريق، و كان يوما من أيام الله المباركة، و سيطر فيها طارق على الجبل الذي سُمي باسمه.

- **فتح عمورية ٢٢٣هـ :**

وفي الشهر الكريم من عام ٢٢٣هـ كان فتح عمورية ، إحدى أقوى وأمتن الحصون الرومية آنذاك،كانت الجحافل الإسلامية في هذا الفتح تحت قيادة الخليفة العباسي المعتصم بالله، و سبب هذا الفتح العظيم أن الروم أغاروا على المسلمين، وأسروا منهم أعدادا كبيرة، ووصل إلى المعتصم خبر استنجاد امرأة مسلمة به، بقولها:

"وامعتصماه" ولم كد يسمع هذه الاستغاثة حتى جهز جيشا جرّارا، وأعده بعدة و عتاد لم يسمع له مثيل من قبل على مَرّ التاريخ، و سار على رأس الجيش إلى عَمّورية مُلبّيا النداء، وهزم الروم و فتح عمّورية.

- **عين جالوت ٦٥٨هـ :**

وفي رمضان عام ٦٥٨هـ دارت رحى معركة عين جالوت على أرض المسرى

فلسطين الحبيبة، و كانت هذه المعركة بين المسلمين المماليك بقيادة القائد المملوكي الفذ المظفر قطز ، وبين المغول الهمجيين، الذين عاثوا فسادا في أرض المسلمين، وزرعوا الخوف والرعب في نفوسهم، وكان النصر حليف المسلمين، وكسر القائد مظفر قطز حاجز الخوف وأباد الجيش المغولي، وهزمه شر هزيمة.

- **فتح أنطاكية ٦٦٦هـ :**

وفي شهر رمضان من العام ٦٦٦هـ كان فتح إمارة أنطاكية، عاصمة الصليبيين في بلاد الشام، وكان قائد المسلمين في هذا الفتح العظيم السلطان الظاهر بيبرس، الذي كُتب على يديه هزيمة الصليبيين والمغول من قبلهم، ورفعة الإسلام والمسلمين.

-معركة شقحب ٧٠٢هـ :

وفي العام ٧٠٢هـ في الشهر المبارك أيضا، كانت معركة شقحب، على مشارف مدينة دمشق(سوريا) ، بين المسلمين بتحريض من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وبين المغول، بعد أن استباحوا ديار المسلمين مرة أخرى. وأقسم شيخ الإسلام على الله أن يكون النصر للمسلمين، ثم أمر المسلمين بالإفطار ليَتَقَوّوا على عدوّهم، وفعلا أبرّ الله بقسم ذلك العالم العابد المجاهد، ونُصر جند الحق وخُذل المَغول، فتحقق نصر آخر للمسلمين في هذا الشهر الكريم.

- **العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ :**

في رمضان عام ١٣٩٣هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، التقى المسلمون المصريون والعرب مع اليهود الخونة قتلة الأنبياء والأبرياء. وعلى أرض سيناء، هَزم المصريون اليهود واستردوا شبه جزيرة سيناء، بعد أن بقيت تحت وطأة الاحتلال والاغتصاب الصهيوني بضع سنوات.

فلقد فهم المسلمون الأوائل أن شهر رمضان شهر جهاد وعمل لا شهر نوم وخمول وكسل ، وأنه لا تعارض بين العبادة والتهجد لله رب العالمين وبين الجهاد لتحقيق معاني الاستخلاف على هذه الأرض .

لما أرسل عبد الله بن المبارك رحمه الله بقصيدته الجميلة المعروفة للفضَيل بن عياض؛ حيث كان فضيل في مكة ملازماً للحرم الشريف ــ الذي تعادل الصلاة فيه مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ــ وكان ابن المبارك مرابطاً في الثغور في طرسوس .. ومما جاء في قصيدته، قوله:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلعبُ

من كان يخضِبُ جيدَهُ بدموعه * فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ**

أوْ كان يُتعِبُ خيلَهُ في باطلٍ * فخيولنا يومَ الصبيحةِ تتعبُ**

ريحُ العبير لكم ونحنُ عبيرُنا * رهَجُ السنابكِ والغُبارُ الأطيبُ**

ولقد أتانا من مقالِ نبينا * قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يكذبُ**

لا يستوي وغُبار خيل الله في * أنف امرئٍ ودُخانُ نارٍ تلهَبُ**

هذا كتابُ الله ينطق بيننا * ليس الشهيدُ بميتٍ لا يُكذَبُ**

ولما ألقي بكتاب ابن المبارك إلى الفضيل وكان في الحرم، قرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح . **انظر سير أعلام النبلاء: ٨/٤١٣.**

فلنجعل من شهر رمضان فرصة لإتقان العمل لأن إتقان العمل دليل على التقوى والتربية على التقوى أول أهداف الصيام .

رمضان ومداخل الشيطان

مداخل الشيطان إلى الإنسان كثيرة ومتباينة ، فالشيطان لا يريد أن يعدم حيلة ولا أن يترك وسيلة في إضلال الإنسان وإغوائه ، وفي جعله يتنكب الطريق في الوصول إلى ربه وخالقه .

وهناك مداخل ظاهرة ومداخل خفية للشيطان لكي يصل من خلالها إلى الإنسان ، فمن الداخل الظاهرة في الإنسان والتي من خلالها يلج الشيطان إليه : العين والأذن واللسان والفرج ، وأما المداخل الخفية فهي العقل والقلب .

والصوم من غاياته وأهدافه وثماره أنه يسد على الشيطان كل تلك المداخل ويقف حصناً حصيناً ضد محاولات الشيطان المتعددة والمتتالية .

١- الصوم ومدخل العين :

غض البصر عن المحارم من صفات المؤمنين المتقين ، قال تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .. (٣١) **سورة النور .**

وعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عَلَيهِ وسلَّم : ثَلاَثَةٌ لاَ تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةَ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ. **أخرجه الطبراني (٤١٦/١٩ ، رقم ١٠٠٣) صحيح الترغيب والترهيب ١٦٣/٣.**

فإطلاق البصر يعود على المرء بآثام وحسرات ومصائب وهموم كثيرة .

قال الشاعر :

كلُّ الحوادثِ مَبدأُها مِنَ النظرِ * * * ومُعظَمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشَّرَرِ
كم نظرةٍ فَتَكَتْ في قلبِ صاحبِها * * * فَتْكَ السهامِ بلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ
والمرءُ ما دامَ ذا عَينٍ يُقَلِّبُها * * * في أعيُنِ الغِيدِ مَوقوفٌ على الخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَهُ * * * لا مَرحباً بسرورٍ عادَ بالضَّررِ

وفي شهر رمضان يتعلم المسلم معنى غض البصر ، فالصوم يحجزه عن إطلاق بصره إلى المحارم إذ أن الصوم يتنافي مع إطلاق البصر ، فالعين لا بد أن تصوم كما تصوم البطن وباقي الجوارح .

وغض البصر له فوائد وثمار كثيرة منها :

١- تخليص القلب من الحسرة.

٢- أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

٣- أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة، تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه، فطمست نورها.

٤- أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل له سلطان البصير مع سلطان الحجة، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه.

٥- أنه يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه ... وأيضاً فإنه لما كفّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.

٦- أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب.

٧- أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب وقع في المحظور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فغض البصر يسد عنه

هذا الباب .

قال السفاريني في : (**غذاء الألباب ١/ ٦٦**) :قَالَ الْحِجَّاوِيُّ : فُضُولُ النَّظَرِ أَصْلُ الْبَلَاءِ لِأَنَّهُ رَسُولُ الْفَرَجِ ، أَعْنِي الْآفَةَ الْعُظْمَى وَالْبَلِيَّةَ الْكُبْرَى ، وَالزِّنَا إنَّمَا يَكُونُ سَبَبُهُ فِي الْغَالِبِ النَّظَرَ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إلَى الِاسْتِحْسَانِ وَوُقُوعِ صُورَةِ الْمَنْظُورِ إلَيْهِ فِي الْقَلْبِ وَالْفِكْرَةِ ، فَهَذِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ ، وَهُوَ مِنْ الْأَبْوَابِ الَّتِي تَفْتَحُ لِلشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِ آدَمَ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْإِمَامِ الصَّرْصَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ :

وَغُضَّ عَنْ الْمَحَارِمِ مِنْكَ طَرْفًا * * * طَمُوحًا يَفْتِنُ الرَّجُلَ اللَّبِيبَا

فَخَائِنَةُ الْعُيُونِ كَأُسْدِ غَابٍ * * * إذَا مَا أُهْمِلَتْ وَثَبَتْ وُثُوبَا

وَمَنْ يَغْضُضْ فُضُولَ الطَّرْفِ عَنْهَا * * * يَجِدْ فِي قَلْبِهِ رَوْحًا وَطِيبَا

٢- الصوم ومدخل الأذن :

كما يسأل الإنسان يوم القيامة عن إطلاقه لبصره فإنه سوف يسأل – كذلك – عما سمعت أذناه من لغو ومن باطل ومن غيبة ومن نميمة، قال تعالى: " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا.**سورة الإسراء:٣٦**.

فهناك مجالات السمع المشروعة والتي منها :

الاستماع إلى القرآن الكريم ، قال تعالى : وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) **سورة الأعراف**.

وكذا سماع الحديث النبوي وآثار الصحابة والصالحين وقصصهم ،وسماع القول الطيب كالشعر والخطبة والمحاضرة والدرس والنصيحة والنشيد الديني ، قال تعالى : " فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) **سورة الزمر**.

أما الاستعمالات الغير مشروعة والتي يجب تجنبها :

الاستماع لمن يسخر من آيات الله ورسوله ودينه لأنه يفسد العقيدة ، قال تعالى : " وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) **سورة النساء**.

وكذا التنصت والتجسس لأنه من فضول السمع وتتبع عورات الناس ،قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) **سورة الحجرات** ، والاستماع لمن يغتاب الآخرين لأنه مشاركة في انتهاك أعراض الناس ،والاستماع للهو الحديث كالغناء الفاحش والشعر الماجن والكلام القبيح لم فيه من إثارة للغرائز والشهوات المحرمة ، قال تعالى :"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) **سورة لقمان**.

والصوم يعلم المسلم النأي بسمعه عن كل ذلك ، ولله در القائل :

إذا لم يكنْ في السمعِ منّي تَصَوُّنٌ * وفي بصري غَضٌ ، وفي منطقي صَمْتُ**

فحَظّي إذًا مِن صومِي الجوعُ والظمأُ * وإن قُلْتُ: إني صُمْتُ يوماً فما صُمْتُ**

٣- الصوم ومدخل اللسان :

اللسان هو ملك الأعضاء في جسم الإنسان ،وهو دليل على ما في قلب المرء من خير أو من شر ، قال تعالى : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) **سورة ق**.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَفَعَهُ ، قَالَ: إِذَا أَصبَحَ ابْنُ آدَمَ ، فَإِنِ الأعضَاءَ كُلهَا تكَفِّرُ اللِّسَانَ ، فَتَقُولُ : أَتقِ اللهِ فِينَا ، فَإِنمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنِ اسْتَقَمتَ استقَمْنَا ، وَإِنِ أعْوَجَتَ أعْوَجَجْنَا. **أخرجه أحمد ٩٥/٣(١١٩٣٠) والتِّرْمِذِيّ"٢٤٠٧ الألباني رقم: ٣٥١ في صحيح الجامع**.

فضمان صلاح اللسان ضمان لفوز المسلم برضوان الله عز وجل ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: مَنْ يَضْمَنْ لِى مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ. **أخرجه أحمد ٣٣٣/٥(٢٣٢١١) قال : حدثنا**

عفان. و"البُخَارِي" ١٣٥/٨(٦٤٧٤).

وعَنِ الْمُطَّلِبِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:اضْمَنُوا لِى سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ. **أخرجه أحمد ٣٢٣/٥(٢٣١٣٧) الألباني رقم: ١٠١٨ في صحيح الجامع.**

قال ابن مسعود: والله الذي لا إله غيره؛ ما شيء أحق بطول سجْن من لسان.

ذكر الإمام مالك في "الموطأ" عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه! غفر الله لك! فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد!.

قيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك تطيل الصمت! فقال:إن لساني سبعٌ، إن تركته أكلني.

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان * * * لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * * * كانت تهاب لقائه الشجعان

وفي شهر رمضان يجب على المسلم حفظ لسانه من اللغو والرفث والسب والشتم والسخرية والغيبة والنميمة والقيل والقال وقول الزور، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ . **أخرجه مالك "الموطأ" ٣٠٦ . و"أحمد" ٢٤٥/٢(٧٣٣٦) و"البُخَارِي" ١٨٩٤ و"مسلم" ١٥٧/٣.**

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، وَالْجَهْلَ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

ـ وفي رواية : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. **أخرجه أحمد ٤٥٢/٢(٩٨٣٨) و"أبو داود" ٢٣٦٢ و"ابن ماجة" ١٦٨٩ و"التِّرمِذي" ٧٠٧ و"النَّسائي" في "الكبرى" ٣٢٣٣.**

عَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ : فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : قِيئِي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. **أخرجه أحمد ٤٣١/٥(٢٤٠٥٣).**

٤- الصوم ومدخل الفرج :

وصف الله سبحانه المؤمنين الفالحين بأنهم يحفظون فروجهم عن الفاحشة والوقوع فيما حرم الله ، قال تعالى : "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) **سورة المؤمنون.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ بِهِ النَّارَ ؟ فَقَالَ : الأَجْوَفَانِ : الْفَمُ ، وَالْفَرْجُ ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ بِهِ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: حُسْنُ الْخُلُقِ. **أخرجه أحمد ٢٩١/٢(٧٨٩٤) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ٢٨٩ .**

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَهُ لاَ مَحَالَةَ ، وَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ. **أخرجه أحمد ٢٧٦/٢(٧٧٠٥) و"البُخاري" ٦٢٤٣ و٦٦١٢ و"مسلم" ٦٨٤٧ .**

قال الشافعي رحمه الله :

عفّوا تعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ ** وتجنبوا ما لا يليقُ بمسلمِ
إنَّ الزنا دينٌ فإن أقرضته ** كَانَ الزِّنَا مِنْ أهلِ بَيْتِكَ فَاعْلَم
مَنْ يَزْنِ يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ ** إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

٥- الصوم ومدخل العقل :

وكما يحفظ المسلم في شهر رمضان مداخل جسده الخارجية ويقف حارساً عليها ضد مداخل الشيطان ، فإن هناك مدخلان مهمان وخطيران للشيطان يسطو من خلالهما على الإنسان ، فيستولي عليه ويتلاعب به كما يشاء .

وهذان المدخلان هما : العقل والقلب ، فعن طريق العقل والفكر يلج الشيطان غليه فيشوش عليه تفكيره الراشد المستقيم ، فيجعله دائم التفكير في شهواته وملذاته بدلاً من التفكير في مرضاة ربه وفيما يعود عليه وعلى من حوله بالنفع والخير ، ولقد ختم الله تعالى آيات الصوم بحكمة الرشد وهي التعقل الحكيم ، قال تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) " **سورة البقرة** .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه و سلم قام يصلي فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي فقال : يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! فقال : يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ولقد أنزل الله علي الليلة آية : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) **سورة آل عمران** ، ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها **.تفسير القرطبي ٤/٣٠٠.**

قال بشر الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه، وقال عمر ابن عبد العزيز: التأمل في نعم الله أفضل عبادة، وقال أبو الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقال يوسف بن أسباط : إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها بل لينظر

بها إلى الآخرة.

قال أبو نواس:

تأمل في نبات الأرض وانظر * * * إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات * * * بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات * * * بأن الله ليس له شريك

فالصوم فرصة لتصفية الذهن وحث العقل على التفكر في نعم الله تعالى ومعرفة أن الصوم يجعلك تفكر في الآخرين وفي الفقير الذي يظل جائعا طوال العام ، ولا يشعر به أحد ، وكذا التفكير في كل أعمال الخير والبر كي تنال مرضاة الله عز وجل.

٦- الصوم ومدخل القلب :

في الصوم تربية للقلب على حب الخير للناس والبعد عن الحقد والحسد والغل والكراهية ، فالقلب السليم الصافي هو أقرب القلوب إلى الله سبحانه ، قال تعالى : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) **سورة الشعراء.**

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ:إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ ، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ. **أخرجه "أحمد" ٤/٣٦٩(١٨٥٥٨) و"البُخَارِي" ١/٢٠(٥٢) و"مسلم"٥/٥٠(٤١٠١).**

قال ابن رجب – رحمه الله – تعليقا على ذلك : ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها؛ وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته، وصلحت جميع الجوارح؛ فلم تنبعث إلا

إلى طاعة الله واجتناب سخطه، فقنعت بالحلال عن الحرام. وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها؛ وانبعثت في معاصي الله - عز وجل -، وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق .انظر: الفتح، لابن حجر ١/٣٠٨.

قال الشاعر :

إن كنت تغدو في الذنوب جليدا * * * وتخاف في يوم المعاد وعيدا

فلقد أتاك من المهيمن عفوه * * * وأفاض من نعم عليك مزيدا

لا تيأسن من لطف ربك في الحشا * * * في بطن أمك مضغة ووليدا

لو شاء أن تصلى جهنم خالدا * * * ما كان أَلْهمَ قلبك التوحيدا

وسلامة القلب هي دليل ومعيار النجاة من عذاب الله تبارك وتعالى، ومن الخزي يوم القيامة وشدته، وعبوسه، وكرباته، كل هذا يكون بسلامة القلب، وسلامة القلب تكون بأمرين لا يجوز أن نغفل عنهما، بل يجب أن نعلمهما:

أما الأول: سلامته من الشبهة، وأعظم ما ينبغي في ذلك أن يسلم القلب من الشرك بالله تبارك وتعالى، وألا يكون في قلب العبد المؤمن شيئاً من الشرك لغير الله -عز وجل- سواء كان ذلك بالتقرب، أو بالتأله في الدعاء، أو التوكل، أو الخشوع، أو الخوف، أو الرجاء، وفي أصول هذه الأعمال التي هي أساس أعمال القلب، فليحذر العبد أن يكون مشركاً مع الله -تبارك وتعالى- بشيء من هذه الأعمال والتعبدات.

فثمرة الصوم تعلم التقوى والتقوى تحتاج إلى قلب طاهر وصادق ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) **سورة البقرة .**

قال أحد الصالحين : اطلب قلبك في ثلاث مواطن: عند سماع القرآن ،وفي مجالس الذكر وفي أوقات الخلوة ،فإن لم تجده في هذه المواطن فاسأل الله أن يعطيك قلبا فإنه لا قلب لك.

قال الشافعي :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * * * جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته *** بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت تعفو عن الذنب لم تزل *** تجود وتعفو منّة وتكرّما
فلولاك لم ينجو من إبليس عابد *** وكيف وقد أغوى صفيّك آدما

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: بعث الأمراء إلى عمر ابن المنكدر بمال، فجاء به الرسول فوضعه بين يديه، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، ثم جاء أبو بكر، فلما رأى عمر يبكي جلس يبكي لبكائه، ثم جاء محمد، فجلس يبكي لبكائهما، فاشتد بكاؤهم جميعاً. فبكى الرسول أيضاً لبكائهم،ثم أرسل إلى صاحبه فأخبره بذلك، فأرسل ربيعة بن أبى عبد الرحمن ليستعلم عن ذلك البكاء،فجاء ربيعة فذكر ذلك لمحمد، فقال محمد: سله فهو أعلم ببكائه، فاستأذن عليه ربيعة، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير؟ قال: والله إني خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي أبكانى قال: وأمر بالمال فتصدق به على فقراء أهل المدينة، قال: فجاء ربيعة فأخبره الأمير بذلك، فبكى وقال: هكذا يكون والله أهل الخير.

عن زيد بن أسلم قال: دُخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له : ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين -: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني -. كان قلبي للمسلمين سليما.

اللهم إنا نسألك أن تنير قلوبنا وعقولنا ، وأن تعطر ألسنتنا بذكرك ، وقلوبنا بحبك وحب نبيك ، وحب كل ما يقربنا لحبك. اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وألسنتنا من الرياء ، وأعيننا من الخيانة ، وحبب إلينا الطاعة والإيمان وثبت قلوبنا على دينك . اللهم آمين تقبل يا رب العالمين .

من أدبيات شهر رمضان

لم يحظ شهر من الشهور في أدبنا العربي بمثل ما حظي به شهر رمضان المبارك من الأهمية والاهتمام ، حتى صار شهر رمضان ملهم الشعراء وواحة الأدباء .

ولقد صال الأدباء والشعراء في وصف شهر رمضان وجالوا فتحدثوا عنه من بدايته إلى نهايته ، ومن الأغراض التي تحدثوا فيها :

في وداع شعبان :

الشاعر : ابن دراج القسطلي وهو شاعر من أهل (قسطلة دراج)، قال عنه الثعالبي: كان في بالأندلس كالمتنبي بالشام..يقول في وداع شعبان، وتنويهًا على مقدم رمضان :

فلئن غنمت هناك أمثال الدُمى * فهنا بيوت المسك فاغنم وانتهب**

تحفا لشعبان جلا لك وجهه * عوضا من الورد الذي أهدى رجب**

فاقبل هديته فقد وافى بها * قدرا إلى أمد الصيام إذا وجب**

واستوف بهجتها وطيب نسيمها * فإذا دنا رمضان فاسجد واقترب**

في هلال رمضان:

يقول الشاعر ابن حمديس الصقلي:

قلت والناس يرقبون هلالا* يشبه الصب من نحافة جسمه**

من يكن صائما فذا رمضان ***خط بالنور للورى أول اسمه

ويذكر البحتري هلال شهر شعبان حين أصبح قمراً يؤذن بطلوع شهر رمضان ، فيقول:

قم نبادر بها الصيام فقد * أقمر ذاك الهلال من شعبان**

ويقول الشاعر الجزائري محمد الأخضر:

املأ الدنيا شعاعا * أيها النور الحبيب**

قد طغا الناس عليها * وهو كالليل رهيب**

فترامت في الدياجي * ومضت لا تستجيب**
ذكّر الناس عهودا * هي من خير العهود**
يوم كان الصوم معنى * للتسامي والصعود**
ينشر الرحمة في الأرض * على هذا الوجود**

في استقبال رمضان :

مصطفى صادق الرافعي : فنجده يعبر عن إحساسه بحلول الشهر الكريم بقوله :

فديتك زائراً في كل عام * تحيا بالسلامة والسلامِ**
وتُقْبِلُ كالغمام يفيض حيناً * ويبقى بعده أثرُ الغمامِ**
وكم في الناس من كلفٍ مشوقٍ * إليك وكم شجيٍ مُستهامِ**

معرفة فضل الصوم :

يقول الشاعر العراقي معروف الرصافي:

ولو أني استطعت صيام دهري * لصمت فكان ديدني الصيام**
ولكني لا أصوم صيام قوم * تكاثر في فطورهم الطعام**
إذا رمضان جاءهم أعدوا * مطاعم ليس يدركها انهضام**
وقالوا يا نهار لئن تجعنا * فإن الليل منك لنا انتقام**

وقال محمود عواد :

الخير باد فيك والإحسان * والذكر والقرآن يا رمضان**
والصوم فيك عبادة * تسموا بها الأرواح والأبدان**
والشر فيك مكبل ومغلل * والبر فيك مجلل هتان**
والليل فيك نسائم هفهافة * رقصت لطيب عبيرها الرهبان**
والفجر فيك عبادة وتلاوة * والصبح فيك سعاية وأمان**
والروح فيك طليقة رفرافة ***أحلامها الغفران والرضوان
والجسم فيك حبيسة أطماعه ***لا يستريح إذا سما الوجدان
والناس فيك تآلف قد ضمهم * وأظلهم ظل الهدى الفينان**

فضل ليلة القدر :

يقول عمر الرافعي :

ومن لي بهذا العيد والفضل واسع * بما جاء يا مولاي في ليلة القدر**

وهذا رجاء لا يرد لأنني * توسلت فيه بالبشير لذي الأمر**

عليه صلاة الله والآل سرمدا * وصحب كرام كالبدور وكالزهر**

نصائح رمضانية :

ولا يفوت الشعراء أن يقدموا لقرائهم وأحبائهم نصائح رمضانية، فنجد عبد الله محمد القحطاني (قال عنه السمعاني: كان فقيها حافظا جمع تاريخاً لأهل الأندلس) يقول ناصحًا مرشدًا :

حصن صيامك بالسكوت عن الخنا * أطبق على عينيك بالأجفان**

لا تمش ذا وجهين من بين الورى * شر البرية من له وجهان**

يقول أبو بكر عطية الأندلسي :

إذا لم يكن في السمع مني تصامم * * * وفي مقلتي غض، وفي منطقي صمت

فحظي إذن من صومي الجوع والظما * * * وإن قلت : إني صمت يوما فما صمت

ويقول الصابي في الذي يصوم عن الطعام فقط ويدعو إلى التخلي عن العيوب والآثام:

يا ذا الذي صام عن الطعام * * * ليتك صمت عن الظلم

هل ينفع الصوم امرؤ ظالما * * * أحشاؤه ملأى من الإثم

يقول الشاعر معروف الرصافي وهو يصف بعض الصائمين الذين يتهافتون على الطعام غير مبالين بالعواقب:

وأغبى العالمين فتى أكول * * * لفطنته ببطنته انهزام

ولو أني استطعت صيام دهري * * * لصمت فكان ديدني الصيام

ولكن لا أصوم صيام قوم * * * تكاثر في فطورهم الطعام

فإن وضح النهار طووا جياعا * * * وقد هموا إذا اختلط الظلام

وقالوا يا نهار لئن تجعنا * * * فإن الليل منك لنا انتقام

وناموا متخمين على امتلاء * * * وقد يتجشئون وهم نيام

فقل للصائمين أداء فـرض * * * ألا ما هكذا فرض الصيام

في وداع رمضان :

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل :

أضيف أنت حـل على الأنام * وأقسم أن يحيا بالصيام**

قطعت الدهر جوابـا وفيـا * يعود مزاره في كل عـام**

تخيم لا يحد حمـاك ركـن * فكل الأرض مهد للخيام**

ورحت تسن للأجواء شرعا * من الإحسان علوي النظام**

بأن الجوع حرمان وزهــد * أعز من الشراب أو الطعام**

قال أحمد شوقي أمير الشعراء: "الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وعرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".

العفاني : نداء الريان في فقه الصوم ٤٦/١.

يقول المنفلوطي: "فتّشت عن الفضيلة في قصور الأغنياء فرأيت الغني إما شحيحاً أو متلافا، أما الأول فلو كان جار البيت فاطمة رضي الله عنها وسمع في جوف الليل أنينها وأنين ولديْها من الجوع ما مدّ أصبعيه إلى أذنيه ثقة منه أن قلبه المتحجر لا تنفذه أشعة الرحمة، ولا تمر بين طياته نسمات الإحسان، وأما الثاني: فمالُه بين ثغر الحسناء، وثغر الصهباء، فعلى يد أي رجل من هذين الرجلين تدخل الفضيلة قصور الأغنياء" . **أين الفضيلة" من كتاب النظرات (٧٣/١) لمصطفى لطفي المنفلوطي.**

وهذه هي المقامة الرمضانية لفضيلة الشيخ الدكتور : عائض القرني – حفظه الله – والتي يقول فيها :

مرحباً برمضان، شهر التوبة والرضوان، شهر الصلاح والإيمان، شهر الصدقة والإحسان، ومغفرة الرحمن، وتزين الجنان، وتصفيد الشيطان.

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام * يا حبيباً زارنا في كل عام**

فاغفر اللّهم ربي ذنبنا * ثم زدنا من عطاياك الجسام**

هذا شهر العتق والصدق والرفق، رقاب تعتق، ونفوس ترفق، وأياد تتصدق، باب الجود في رمضان مفتوح، والرحمة تغدو وتروح، والفوز ممنوح، فيه ترتاح الروح، لأنّه شهر الفتوح، هنيئاً لمن صامه، وترك فيه شرابه وطعامَه، وبشرى لمن قامَه، واتبع إمامَه. القلب يصوم في رمضان، عن اعتقاد العصيان، وإضمار العدوان، وإسرار الطغيان.

والعين تصوم عن النظر الحرام، فتغض خوفاً من الملك العلام، فلا يقع بصرها على الآثام. والأذن تصوم عن الخنا، واستماع الغنا، فتنصت للذكر الحكيم، والكلام الكريم. واللسان يصوم عن الفحشاء، والكلمة الشنعاء، والجمل الفظيعة، والمفردات الخليعة، امتثالاً للشريعة. واليد تصوم عن أذية العباد، ومزاولة الفساد، والظلم والعناد، والإفساد في البلاد. والرِجل تصوم عن المشي إلى المحرّم، فلا تسير إلى إثم ولا تتقدّم.

والله ما جئتكمو زائراً * إلّا وجدت الأَرض تُطوى لي**

ولا انثنت رجلي عن بابكم * إلّا تعثرت بأذيالي**

أما آن للعصاة أن ينغمسوا في نهر الصيام، ليطهروا تلك الأجسام، من الآثام. ويغسلوا ما علق بالقلوب من الحرام.

أما آن للمعرضين أن يدخلوا من باب الصائمين، على رب العالمين، ليجدوا الرضوان في مقام أمين.

إن رمضان فرصة العمر السانحة، وموسم البضاعة الرابحة، والكفة الراجحة، يوم تعظم الحسنات، وتكفّر السيئات، وتُمحى الخطيئات.

إنّ ثياب العصيان آن لها أن تخلع في رمضان، ليلبس الله العبد ثياب الرضوان . وليجود عليه بتوبة تمحو ما كان من الذنب والبهتان.

إن مضى بيننا وبينك عتب * حين شطت عنا وعنك الديارُ**

فالقلوب التي تركت كما هي * والدموع التي عهدت غزارُ**

في رمضان كانت فتوحاتنا، وإشراقاتنا، وغزواتنا، وانتصاراتنا.

في رمضان نزل ذكرنا الحكيم، على رسولنا الكريم، وهو سر مجدنا العظيم.
في رمضان التقى الجمعان، جمع الرحمن وجمع الشيطان، في بدر الكبرى يوم رجح ميزان الإيمان، ونسف الطغيان، وانهزم الخسران. في رمضان فتحت مكة بالإسلام، وتهاوت الأصنام، وارتفعت الأعلام، وعلم الحلال والحرام.
في رمضان كانت حطين العظيمة، يوم انتصرت رايات صلاح الدين الكريمة، وارتفعت الملة القويمة، وصارت راية الصليب يتيمة.
صيام النفس في رمضان عزوف عن الانحراف، والانصراف والإسراف والاقتراف، فالنفس تعلن الرجوع، والقلب يحمل الخشوع، والبدن يعلوه الخضوع، والعين تجود بالدموع.
لشهر رمضان وقار فلا سباب، ولا اغتياب، ولا نميمة، ولا شتيمة، ولا بذاء، ولا فحشاء، وإنّما أذكار واستغفار، واستسلام للقهار، فالمسلمون في رمضان كما قيل :

هينون لينون أيسار بنو يُسْرٍ * أهل العبادة حفاظون للجارِ**
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا * ولا يمارون إن ماروا بإكثارِ**

مردة الشياطين في رمضان تصفد بالقيود، فلا تقتحم الحدود، ولا تخالط النفوس في ذلك الزمن المعدود.
إذا سابّك أحد في رمضان فقل إنّي صائم، فليس عندي وقت للخصام، وما عندي زمن لسيء الكلام، لأنّ النفس خطمت عن الخطيئة بخطام، وزمّت عن المعصية بزمام.
إذا قاتلك أحد في رمضان فقل إنّي صائم فلن أحمل السلاح، لأنّني في موسم الصلاح، وفي ميدان الفلاح، وفي محراب حي على الفلاح .

اغسل بنهر الدمع آثار الهوى * تنسى الذي قد مر من أحزانِ**

كان السلف إذا دخل رمضان، أكثروا قراءة القرآن، ولزموا الذكر كل آن ، ورقعوا ثوب التوبة بالغفران، لأنّه طالما تمزق بيد العصيان .
هذا الشهر هو غيث القلوب، بعد جدب الذنوب، وسلوة الأرواح بعد فزع الخطوب .

رمضان يذكرك بالجائعين، ويخبرك بأن هناك بائسين، وأنّ في العالمين مساكين، لتكون عوناً لإخوانك المسلمين .فرحة لك عند الإفطار، لأنّ الهم ذهب وطار، وأصبحت على مائدة الغفار، بعد أن أحسنت في النهار .

وفرحة لك عند لقاء ربّك، إذا غفر ذنبك، وأرضى قلبك .

بعض السلف في رمضان لزم المسجد، يتلو ويتعبد، ويسبح ويتهجد .

وبعضهم تصدق في رمضان بمثل ديته ثلاث مرات، لأنّه يعلم أنّ الحسنات، يذهبن السيئات. وبعضهم حبس لسانه عن كل منكر، وأعملها في الذكر، وأشغلها بالشكر .

هذا شهر الآيات البينات، وزمن العظات، ووقت الصدقات، وليس لقراءة المجلات، والمساجلات، وقتل الأوقات، والتعرض للحرمات .

سلام على الصائمين إذا جلسوا في الأسحار، يرددون الاستغفار، ويزجون الدمع المدرار . وسلام عليهم إذا طلع الفجر، وطمعوا في الأجر، تراهم في صلاتهم خاشعين، ولمولاهم خاضعين.

وسلام عليهم ساعة الإفطار، بعد ذلك التسيار، وقد جلسوا على مائدة الملك الغفار، يطلبون الأجر على عمل النهار.

سبحان من جاعت في طاعته البطون، وبكت من خشيته العيون، وسهرت لمرضاته الجفون، وشفيت بقربه الظنون.

ما أحسن الجوع في سبيله، ما أجمل السهر مع قيلة، ما أبرك العمل بتنــزيله، ما أروع حفظ جميلة.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الطعام وتلهيها عن الزاد**

لها بوجهك نور تستضيء به * ومن حديثك في أعقابها حادي**

إذا تشكت كلال السير أسعفها * شوق القدوم فتحيا عند ميعاد**

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هداية للبشرية، وصلاحاً للإنسانية، ونهاية للوثنية. القرآن حيث أصلح الله به القلوب، وهدى به الشعوب، فعمت بركته الأقطار ودخل نوره كل دار.

سمعتك يا قرآن قد جئت بالبشرى * سريت تهز الكون سبحان الذي أسرى**

انظر : مقامات القرني ٧٥.

وهذه مقامة رمضانية للعبد الضعيف كاتب هذه السطور (**نشرت بموقع صيد الفوائد في رمضان ١٣٣٠ هـ**) أقول فيها : اعلم أيها الأخ الحبيب، والصديق اللبيب؛ اعلم أن الرحيم الرحمن، قد خص أمتنا بصيام شهر رمضان، وقد جعله الله تعالى سيد الشهور ، على مر العصور والدهور ، وقد جمع الله فيه من الخيرات والبركات ، والنفحات والآيات ، ما تعجز عن وصفه العبارات والكلمات ، ففيه نتعلم التقوى والمراقبة ، والمراجعة والمحاسبة ، ونتعلم الصبر والشكر ، والإقبال على القرآن والذكر ، فهو شهر الهدى والفرقان ، والبر والإحسان ، فأكثروا فيه من الدعاء والرجاء ،والصدق والصفاء ، فهو السبيل إلى تزكية النفوس ، والشوق إلى نعيم الملك القدوس ،اعتقوا فيه أنفسكم من النار ، وتحللوا من المعاصي والأوزار ،واستقبلوه بفرح وسعادة ،وعزة وسيادة ، فالخير فيه موصول ، والعمل فيه مرفوع ومقبول.

فيا عباد الرحمن ، لا تضيعوا فرصة شهر رمضان، شهر الذكر والقرآن، شهر البر والإحسان، شهر التوبة والغفران، شهر العتق من النيران، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، شهر الخير والبركات، شهر النور والنفحات، شهر المنح والهبات، شهر إليه قلوب المؤمنين تحن، ومن ألم فراقه قلوب العارفين تئن، فالسباق السباق، واللحاق اللحاق، فالسعيد السعيد من صلى وقام، وصان نفسه عن الحرام، وأرضى الملك العلام.

في وداع رمضان

الناس في رمضان على ثلاثة أقسام : قسم ظالم لنفسه ؛ لم يصم شهر رمضان صوماً حقيقياً فلم يحفظ حدوده ولم يتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، فلم يصم لسانه عن اللغو والبهتان ، ولم يصم سمعه عن سماع الباطل والخنا وكل ما يغضب الرحمن ، ولم تصم عيناه عن النظر المحرم الغفلان ، ولم تصم بطنه عن أكل الحرام ، ولا يداه وقدماه عن الفحش والبهتان ، فهذا كان حظه من صومه العطش والجوع وتحصيل الذل والخنوع ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ. **أخرجه أحمد ٢/٣٧٣(٨٨٤٣) و"النسائي" في "الكبرى" ٣٣٣٦ و"ابن خزيمة" ١٩٩٧الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٤٨٨ في صحيح الجامع**

قال الشاعر :

إذا لم يكنْ في السمعِ مِنّي تَصَوُّنٌ * وفي بصري غَضٌ، وفي منطقي صَمْتُ**
فحَظّي إذًا مِن صومِي الجوعُ والظمأ * وإن قُلتُ: إني صُمْتُ يوماً فما صُمْتُ**

فهؤلاء لم يأخذوا من الإسلام إلا اسمه ولا من الإيمان إلا رسمه ، فهم قد وقفوا عند مرتبة الإسلام ولم يتجاوزها بعد إلى مرتبة الإيمان .

والقسم الثاني : قسم مقتصد ؛ صان نفسه عن كل ما يغضب الله وحفظ صومه من اللغو والباطل ، كما قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ، وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك. **ابن رجب : لطائف المعارف ١٦٨.**

قال الشاعر:

يا غَافِلاً ولَيالِي الصَّومِ قَد ذَهَبَتْ ** زادَتْ خَطَايَاكَ قِفْ بِالبَابِ وَابْكِيهاَ
واغْنَمْ بقيةَ هذا الشَّهْرِ تَحْظَ ** غرسنَهُ مِنْ ثِمَارِ الخيرِ تَجْنِيهاَ

وهؤلاء هم من تجاوزوا مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان ولكنهم بعد لم يصلوا إلى مرتبة الإحسان .

والقسم الثالث : هم من سبقوا بالخيرات وتنافسوا على تحصيل الحسنات ، فهم المحسنون الذي وصلوا إلى مرتبة الإحسان فعبدوا الله حق العبادة وراقبوه حق المراقبة ، فهم المتميزون في صومهم وعبادتهم وأخلاقهم ، فلم يصوموا كما يصوم الناس بل جعلوا صومهم خالصاً لله رب العالمين فصانوه من الشوائب وحفظوه من السفاسف والمعايب ، فصارت ألسنتهم تلهج بالذكر والدعاء ، وقلوبهم يلفها الصفاء والنقاء .

فقرأوا القرآن وتدبروا معانيه ، وقامت قلوبهم بالليل تصلي لله وتناجيه .

قال الشاعر :

يا شهرُ كم لي فيكَ مِن إشراقةٍ * تَطوي الظلامَ وتَنشُرُ الأعراسَا**

أنبتَّ بالتقوى شِعَابَ قلوبِنا * وسَقَيْتَ بالآيِ الكِرامِ غِراسَا**

نَفحاتُكَ الغنَّاءُ رِفْدُ سعادةٍ * تَستنزِلُ الرحَمَاتِ والإيناسَا**

و نسائمُ الأسحارِ تَذهبُ بالضَّنَى * وتَهُدهِدُ الوجدانَ مما قاسَى**

و بكلِّ سانِحَةٍ مَآثِرُ سُنَّةٍ * مِن نُورِ أحمدَ أشرقَت نِبْراسَا**

وهذه الأقسام الثلاثة هي التي عناها الله تعالى في محكم تنزيله فقال سبحانه: " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) **سورة فاطر .**

قال الواحدي : { فمنهم ظالم لنفسه } وهو الذي زادت سيئاته على حسناته { ومنهم مقتصد } وهو الذي استوت حسناته وسيئاته { ومنهم سابق بالخيرات } وهو الذي رجحت حسناته. **تفسير الوجيز للواحدي ١/٨٩٣.**

وقال الرازي : { فَمِنْهُمْ ظالم } وهو المسيء { وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ } وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخيرات } وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السيئات . **تفسير الرازي ٤٩٧/١٣.**

قال السعدي : { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } بالمعاصي، [التي] هي دون الكفر. { وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه.

فكلهم اصطفاه اللّه تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه. **تفسير السعدي ٦٨٩.**

أخرج أبو نعيم في الدلائل عن عبد الرحمن المغافري أن كعب الأحبار رأى حبر اليهود يبكي فقال له : ما يبكيك؟ قال : ذكرت بعض الأمور فقال له كعب : أنشدك بالله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني؟ قال : نعم . قال : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة في التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فقال : موسى رب أجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد؟ قال الحبر : نعم . قال كعب : فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون ، إذا أرادوا أمراً قال افعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد؟ قال الحبر : نعم . قال كعب : فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : يا رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله ، وإذا هبط وادياً حمد الله ، الصعيد

لهم طهور ، والأرض لهم مسجداً حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد؟ قال الحبر نعم .

قال كعب : انشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب ، واصطفيتهم { فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات } [فاطر : ٣٢] ولا أجد أحداً منه إلا مرحوماً فاجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد؟ قال الحبر : نعم . قال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة ، يصفّون في صلاتهم كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل ، لا يدخل النار منهم أحد إلا من بري من الحسنات مثل ما بري الحجر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي . قال هم أمة أحمد؟ قال الحبر : نعم . فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله محمداً وأمته قال : يا ليتني من أمة أحمد ، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) [**الأعراف : ١٤٤**] الآية فرضي موسى كل الرضا . **السيوطي : الدر المنثور ٣٢٣/٤.**

فيا – أيها الحبيب – من أي الأقسام أنت ؟ ومن أي الأصناف قد انتسبت ؟ .

إن من أعظم الجرم وإن من أكبر الخسران أن يعود المرء بعد الغنيمة خاسراً وأن يبدد المكاسب التي يسرها الله عز وجل في هذا الشهر الكريم ، وأن يرتد بعد الإقبال مدبراً وبعد المسارعة إلى الخيرات مهاجراً وبعد عمران المساجد بالتلاوات والطاعات معرضاً ؛ فإن هذه الأمور لتدل على أن القلوب لم تحيا حياة كاملة بالإيمان ولم تستنر نورها التام بالقرآن وأن النفوس لم تذق حلاوة الطاعة ولا المناجاة وأن الإيمان ما يزال في النفوس ضعيفاً وأن التعلق بالله عز وجل لا يزال واهناً.

قال الشاعر :

غدا توفى النفوس ما كسبت ... و يحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... و إن أساءوا فبئس ما صنعوا

فماذا عليك الآن وأنت تودع شهر رمضان ؟ .

أولاً : تودع رمضان بمثل ما استقبلته بالطاعة والإيمان والبر والإحسان ، ولا تكن كالتي قال الله تعالى فيها : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) **سورة النحل .**

قال أهل التفسير : المرأة المقصودة في الآية الكريمة هي امرأة عاشت في زمن ما قبل الإسلام (الجاهلية)، واسمها رابطة أو رايطة أو ريطة من بني تميم، وكانت امرأة تلقب بالجعراء أو الجعرانة، وإليها ينتسب الموضع المسمى بالجعرانة بين مكة المكرمة والطائف، وهو ميقات للإحرام.

وإلى جانب ذلك كانت تسمى بخرقاء مكة، ويضرب بها المثل في الحمق، فما قصة حمقها؟.لقد كانت هذه المرأة تجتمع كل يوم، هي ومجموعة من الجواري والعاملات لديها، فتأمرهن بالعمل على غزل ونسج الصوف والشعر ونحوهما، ثم إذا انتصف النهار وانتهين من أداء عملهن في الغزل؛ أمرتهن بنقضه، أي إفساد ما غزلنه وإرجاعه أنكاثاً، بمعنى أنقاضاً أو خيوطاً، وذلك بإعادة تقطيع الغزل إلى قطع صغيرة، ثم تنكث خيوطها المبرومة، فتُخلط بالصوف أو الشعر الجديد وتنتشب به، ثم تضرب بالمطارق أو ما شابه، على أن يقمن بغزله مجدداً في اليوم التالي ، وهكذا، تجهد هذه المرأة نفسها وعاملاتها بالعمل ثم تفسده بحمقها وخراقتها.

تفسير الطبري ١٧/ ٢٨٣ ، تفسير ابن كثير ٤/٥٩٩.

أو من الذين قال الله فيهم : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) **سورة الحج .**

قيل لِبِشْرِ الحَافِي رحمه الله : إنَّ قَوماً يَتعبَّدون ويجتَهِدُون في رمضان ؟ فقال : بِئْسَ القومُ قومٌ لا يَعرفُونَ للهِ حَقَّاً إلَّا في شَهْرِ رَمَضَان ، إنَّ الصَّالحَ الذي يَتَعَبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّنَةَ كلَّها .

وسُئِلَ الشِّبْلِيُّ رحمه الله : أيُّهما أفضلُ : رَجبٌ أو شَعْبَان ؟ فقال : كُنْ ربَّانِيَّاً ولا تَكُنْ شَعَبَانِيَّاً !.

قال الشاعر :

ترحَّلت يا شهرَ الصيامِ بصومِنا * * * وقدْ كنتَ أنواراً بكلِّ مكانِ

لئنْ فَنِيَتْ أيامُكَ الزُّهرُ بَغتةً * * * فما الحزنُ مِنْ قلبي عليكَ بِفَانِ

عليكَ سلامُ الله كن شاهداً لنا * * * بخيرٍ رعاكَ الله مِنْ رمضانِ

قال ابن رجب : في (**لطائف المعارف ٣٢٣**) : بعض السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم خرج عمر بن عبد العزيز رحمه الله في يوم عيد فطر فقال في خطبته : أيها الناس إنكم صمتم لله ثلاثين يوما و قمتم ثلاثين ليلة وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم. كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر فيقال له : إنه يوم فرح و سرور فيقول : صدقتم و لكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملا فلا أدري أيقبله مني أم لا ؟. رأى وهب بن الورد قوما يضحكون في يوم عيد فقال : إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين. وعن الحسن قال : إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون .

لعلك غضبان و قلبي غافل * * * سلام على الدارين إن كنت راضيا

روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه وعن ابن مسعود أنه كان يقول : من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول

هنيئا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك .

ليت شعري من فيه يقبل منا * * * فيهنا يا خيبة المردود

من تولى عنه بغير قبول * * * أرغم الله أنفه بخزي شديد

ثانياً : كما حافظتَ على الصلاةِ بركوعها وسجودها ، وخشوعها وخضوعها ، وذرفتَ الدمعَ بين يدي ربك ، فهلاّ بَقِيْتَ على هذه الحالة بقيةَ عمرك وفي سائر عملك فالصلاةُ عمودُ الإسلام ، ولا حظَّ في الإسلام لمن ضَيَّع الصلاة .

فلا تكن ممن قال فيه الشاعر :

صلى وصام لأمر كان يطلبه * * * فلما قضي الأمر لا صلى ولا صاما

سُجن الإمام البويطي صاحب الشافعي ووُضع الغُلّ في عنقه، والقيد في رجليه، وكان يقول: لأموتن في حديدي هذا، حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديده .

وكان البويطي وهو في الحبس يغتسل كل جمعة، ويتطيب، ويغسل ثيابه، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء، فيردّه السجان، فيقول البويطي: اللهم! إني أجبت داعيك فمنعوني.

وكتب البويطي إلى الذهلي: أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث، لعل الله يُخلِّصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزتُ عن أداء الفرائض؛ من الطهارة والصلاة. فضجّ الناس بالبكاء والدعاء له.

ثالثاً : كان الصومُ لك جُنَّةً ووقاية ، وحِصنًا حَصِيْنًا من شياطين الإنس والجن ، فهل تَأْمنْ على نفسك بقيةَ العامِ بلا حصنٍ ولا عُدة . فالصومُ باقٍ ببقاءَ العام ، فَطِبْ نفساً بِمَوَاسِمِ الصِّيَام ، وقاوم الشيطان طوال العام ، فلو أخلصت النية في ذلك حفظك الله منه ، حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لق الخطايا ؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده. قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده. قال : هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من

العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدي. قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك. - إن صدقت هذه الرواية - لم يكن تاركاً الدنيا كسباً، بل قلباً . **ابن الجوزي : تلبيس إبليس ٣٥.**

في الإسرائيليات : أنّ رجلاً تزوّج امرأة من بلدة ، وكان بينهما مسيرة شهر ، فأرسل إلى غلام له من تلك البلدة ليحملها إليه فسار بها يوماً ، فلما جنّه الليل أتاه الشيطان فقال له : إنّ بينك وبين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها ليالي هذا الشهر إلى أن تصل إلى زوجها ، فإنها لا تكره ذلك وتثني عليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده ، فقام الغلام يصلي فقال : يا رب ، إنّ عدوك هذا جاءني فسوّل لي معصيتك ، وإنه لا طاقة لي به في مدة شهر وأنا أستعيذك عليه يا رب فأعذني عليه ، واكفني مؤونته ، فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشدّ على دابة المرأة وحملها وسار بها ، قال : فرحمه اللّه تعالى ، فطوى له مسيرة شهر فما برق الفجر حتى أشرف على مدينة مولاه ، قال : وشكر اللّه تعالى له هربه إليه من معصيته فنبأه ، فكان نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل . **قوت القلوب ٣٣٥/٢.**

رابعاً : قمتَ رمضان إيماناً واحتساباً ، وها قد انقضى شهرُ القيام . فلا تَقْصُر عنه سائرَ العام . فخذ بالجدِّ فيه ، عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أتاني جبريل ، فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت أحبب من شئت ، فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل عزه استغناؤه عن الناس " .**أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١ / ٦١ / ٢ و أبو نعيم في " الحلية " (٣ / ٢٥٣) و الحاكم (٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٥٠٥.**

ذكرَ الخطيبُ البغدادي رحمه الله : عن عاصم البَيْهَقِي قال : بتُّ ليلةً عند الإمام أحمد بن حنبل ، فجاء بماءٍ فوضعَهُ ، فلما أصبح نَظر إلى الماءِ بحاله ، فقال : سبحانَ الله ! رجلٌ يطلبُ العلمَ لا يكونُ له وِرْدٌ بالليل .

وذكر أهلُ التَّاريخ والسِّيَر : أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي لما تعلم: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً} [المزمل:١-٢] قال لأبيه: يا أبتِ، من الذي يقول الله تعالى هذا له؟ قال: يا بني، ذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم.قال: يا أبتِ، ما لك لا تصنع أنت كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم.قال: يا بني، إن الله تعالى خصَّ نبيه صلى الله عليه وسلم بافتراض قيام الليل دون أمته، فسكت عنه. فلما حفظ قول الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل:٢٠].قال: يا أبتِ إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون من الليل، فمن هذه الطائفة؟ قال له أبوه: أولئك هم الصحابة رضي الله عنهم.قال: فلم تترك ما فعله الصحابة؟ قال: صدقت يا بني، لا أتركه إن شاء الله تعالى، فكان يقوم من الليل ويصلي، واستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي.فقال: علِّمني كيف أتطهر وأفعل مثل فعلك وأصلي معك.فقال له أبوه: يا بني أرقد فإنك صغير بعدُ.قال: يا أبتِ، إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم أقول لربي: إني قلتُ لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك؟ فأبى وقال لي: ارقد فإنك صغير بعدُ؟ قال أبوه: لا والله يا بني، وعلمه فكان يصلي معه. ثم قال له : إيَّاك إيَّاك .. أنْ يَسْبِقَكَ الدِّيكُ ! فيكونَ أكْيسَ منْك يُسبِّحُ وأنت نائم ؟!.

قال الشاعر:

ترحل شهر الصبر والهفاه وانصرفا*واختص بالفوز في الجنات من خدما**

وأصبح الغافل المسكين منكسراً*مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما**

من فاته الزرع في وقت البذار فما*تراه يحصد إلا الهم و الندما**

خامساً : ختمتَ القرآنَ مرةً ، أو بعض مرةٍ ، وعزفتَ عن الشواغل حتى لا تهجُره في شهره ، أيحسنُ بك أنْ تُقَدِّمَ الشواغلَ عليه وهو كلامُ الملك ! هلاّ عزمتَ على صَرْفِها مرات ؛ لتَحْظَى بِخَتَمَات .

قال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الحنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو

هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

طوبى لمن حفظ الكتابَ بصدره ** فبدا وضيئاً كالنجوم تألّقا

الله أكبر ! يا لها من نعمة ** لما يقال " اقرأ ! " فرتل وارتقا

وتمثلَ القرآنَ في أخلاقه ** وفعاله فبه الفؤادُ تعلقا

سادساً : حافظتَ قدْرَ وسعك على قلبِك من غَوائلِ الهوى النَّزَّاعةِ للشوى ، صُنْتَ سَمْعَكَ ، وبَصَرَكَ ، وفؤادَكَ عما لا ينبغي في شهرِ الصيامِ رجاءَ كماله ، ولكنْ لتعلمَ أنَّ صيامَ الجوارحِ لا يَنْقَضي بغروبِ شمسِ آخرِ ليلةٍ من رمضان ، فشرْعُ الله دائمٌ على مرِّ العام ذلك، فاحفظ قلبك طوال العمر من الحسد والكبر والحقد والغل ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للهِ ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ : أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ.**أخرجه أحمد ١/٣٨٧(٣٦٧١) الألباني(حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٥ في صحيح الجامع .**

قال ابن الجوزي **في " التبصرة " ص ١/ ١٩٩** : عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومنْ فَرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاستغنموا منه ما بقى من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهد لكم به عند الملك العلاّم، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

سلام من الرحمن كل أوان * على خير شهر قد مضى وزمانِ**

سلام على شهر الصيام فإنه * أمان من الرحمن كل أمان**

لئن فنيت أيامك الغر بغتة * فما الحزن من قلبي عليك بفان**

عن الهيثم بن جماذ قال: دخلت على يزيد الرقاشي وهو يبكي في يوم حار وقد عطش نفسه أربعين سنة فقال لي: أدخل تعالى نبكي على الماء البارد في اليوم الحار.

عن مالك قال: بلغني أن حسين بن رستم الأيلي دخل على قوم وهو صائم فقالوا له: أفطر فقال: إني وعدت الله وعدا، وأنا أكره أن أُخلف الله ما وعدته.

قال سعيد عن قتادة رحمهم الله كان يقال : من لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر له ؟ ومن رد في ليلة القدر متى يقبل ؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان ، ومتى يصلح من كان فيه من داء الجهالة والغفلة مرضان .

قال الشاعر :

فيا شهر الصيام فدتك نفسي * تمهل بالرحيل والانتقال**

فما أدرى إذا ما العام ولى * وعدت بقابل في خير حال**

أتلقاني مع الأحياء حيا * أم انك تلقني في اللحد بالي**

فذلك حال الدنا دواما * فراق بعد جمع وارتحال**

وقال آخر :

رمضانُ قد رحلت فما عسايّ أقولُ * * * والدمعُ من ألم الفراق يسيلُ ؟

عامٌ مضى .. غفت القلوبُ وأجدبت * * * هممٌ وأنكرت الثمارَ حقولُ

واستنفرتنا للمباهج أنفسٌ * * * مالت مع الأهواء حيث تميل

فلك التحية .. ما أقمت بأرضنا * * * ولك التحية .. ما احتواك رحيلُ

فيا شهر رمضان غير مودع ودعناك، وغير مقلي فارقناك، كان نهارك صدقة وصياماً، وليلك قراءة وقياماً، فعليك منا تحية وسلاماً، يا شهر الصيام أتراك تعود بعدها علينا أو تدركنا المنون فلا تؤول إلينا، مصابيحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة، فالآن تنطفئ المصابيح، وتنقطع التراويح.

والآن تهجر المساجد ويجفوها كل راكع وساجد ، وتطوى المصاحف ويأمن الخائف ، فلا وجل ولا خشوع ولا بكاء ولا دموع ، فيا شهر الصيام أسرع إلينا ثانية فقلوبنا إليك تحن ومن ألم فراقك تبكي وتئن .

ثلاث وقفات بعد رمضان

الوقفة الأولى : كن ربانياً ولا تكن رمضانياً :

بعض الناس يحدث له نوع من الانتكاسة بعد رمضان ، فيعود أدراجه إلى الكسل والغفلة ويصبح كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، ويبدل نعمة الله كفراً فيتكاسل عن الطاعات، ويضيع الفرائض والواجبات، ويتساهل في الذنوب والسيئات ، ولا يعرف أن مداومة الطاعة طريق الربانين الذين أخلصوا لله تعالى في عبادتهم ، فعبدوه وحده بحق وصدق ، امتثالا لقوله سبحانه : إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) **سورة الزمر .**

فمن أعظم الجرم ومن أكبر الخسران أن يعود المرء بعد الغنيمة خاسراً وأن يبدد المكاسب التي يسرها الله عز وجل في هذا الشهر الكريم ، وأن يرتد بعد الإقبال مدبراً وبعد المسارعة إلى الخيرات مهاجراً وبعد عمران المساجد بالتلاوات والطاعات معرضاً ؛ فهو بذلك يكون رمضانياً لا ربانياً ؛ أي أنه لا يعرف الله تعالى إلا في رمضان ، ولا يوقن أن رب رمضان هو رب السنة كلها .

قيل لِبِشْرِ الحَافِي رحمه الله : إنَّ قَوماً يَتعبَّدون ويجتَهِدُون في رمضان ؟ فقال : بِئْسَ القومُ قومٌ لا يَعرِفُونَ لله حَقَّاً إلَّا في شَهْرِ رَمَضَان ، إنَّ الصَّالحَ الذي يَتَعَبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّنَةَ كلَّها .

قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر عصى ربه، فصيامه عليه مردود".

وسُئِلَ الشِّبْلِيُّ رحمه الله : أيُّهما أفضلُ : رَجبٌ أو شَعْبَان ؟ فقال : كُنْ ربَّانِيَّاً ولا

تَكُنْ شَعَبَانِيًّا !.

ونحن نقول : كن ربانياً ولا تكن رمضانياً ، فالرباني هو الذي يداوم العبادة على كل حال ، والرباني هو الذي يطلب من ربه دائماً أن يعينه على دوام ذكره وشكره وحسن عبادته ، عن معاذ بن جبل:أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال:" يا معاذُ! والله! إني لأُحِبّكَ، والله! إني لأُ حِبُّكَ ". فقال:" أوصيك يا معاذ! لا تدعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم! أعِنِي على ذِكرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك ".

رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) ، والنسائى (٣/ ٥٣) ، والحاكم (٣ / ٢٧٣ – ٢٧٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى وهو فى صحيح الجامع (٧٩٦٩) .

قال الشاعر :

قوم إذا دعت المطامع أغلقوا * فمها ، وإن دعت المكارم طاروا**

إن واجهوا ظلماً رموه بعدلهم * وإذا رأوا ليل الضلال أناروا**

قد كنت قرآناً يسير أمامهم * وبك اقتدوا فأضاءت الأفكار

عمروا القلوب كما عَمَرْت، فما مضوا * إلا وأفئدة العباد عَمَار**

لو أطلق الكونُ الفسيحُ لسانه * لسرتْ إليك بمدحه الأشعار

كان عامر بن عبد الله بن الزبير على فراش الموت يجود بأنفاسه وأهله حوله يبكون، فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب ونفسه تحشرج في حلقه وقد اشتدّ نزعه وعَظُم كربه، فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا بيدي، قالوا: إلى أين؟! قال: إلى المسجد، قالوا: وأنت على هذه الحال؟! قال: سبحان الله! أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه؟! خذوا بيدي، فحملوه بين رجُلين، فصلى ركعة مع الإمام ثمّ مات في سجوده، نعم مات وهو ساجد.

الوقفة الثانية : لا تترك جوار الملك :

أيها الصائم القائم لقد كنت في رمضان تجاور الرحيم الرحمن ، فقد عمرت المساجد بالصلاة والقيام والذكر والقرآن ، ولقد قال تعالى في كتابه الكريم : " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ

إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) **سورة التوبة.**

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ جِيرَانِي ؟ فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: رَبَّنَا ، وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِرَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ ؟ **.أخرجه أيضاً : الحارث كما في بغية الباحث (٣٥١/١ ، رقم ١٣٦) . الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٥١٣.**

إن من يجاور ملكاً من ملوك الأرض يترك الغالي والنفيس في سبيل أن لا يترك جوار هذا الملك ، دخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه ، فقام رجل فصاح فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : ومن ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة ظلمني وغصب ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عمارة فاقعد مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لي بخصم ، قال : وكيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنازعه ، وإن كانت لي فقد جعلتها له ، ولا أقوم من مكان شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة **.أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ١١٩/٩.**

فهذا رجل ترك كل ما يملك من أجل أن لا يترك مجاورة ملك من ملوك الأرض ، فما بالك بعد رمضان تترك جوار ملك الملوك ورب الأرباب إلى غيره .

قال الحسن البصري : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وفي قراءة القرآن فإن وجدتم وإلاّ فاعلموا أن الباب مغلق.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ قال:" لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإنَّ وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.".

كان في جبل لبنان عابد يقيم في كهف من كهوف الجبل .. واعتزل الناس هناك .. وكان العابد يصوم نهاره فتصله كسرة خبز وقت إفطاره .. فيتسحر بنصفها ويتسحر بنصفها الآخر .. وهو في غاية السرور بقناعته .. وكان الحال على هذا المنوال يجري دون أن ينزل من جبله إلى سفحه وسهله وذات ليلة انقطع عنه الرغيف فضعف الزاهد من شدة الجوع .. وصلى المغرب والعشاء قلقا يفكر في عشائه .. ولم ينم ليلته تلك ولم يتجهد قلقا واضطرابا .. ولما أصبح الصبح انحدر

العابد من مقامه الخلاب ليحصل على قوت .. وكان إلى جوار الجبل قرية .. يسكن فيها المجوس .. فوقف على باب مجوسي فأعطاه المجوسي رغيفا أو رغيفين .. فأخذ العابد الخبز وشكر للمجوسي إحسانه .. وانبسطت ملامحه لبلوغ وطره واستحصال قوته .. وعزم على العودة إلى حيث أتى ليفطر بخبز من الشعير ..وكان بباب المجوسي كلب أجرب ضعيف نحيف من شدة الجوع .. تبع الكلب العابد وتعلق بثوبه .. فرمى إليه العابد رغيفا .. وجرى العابد كيلا يلحقه الكلب .. ويصيبه أذى منه .. أكل الكلب الرغيف ولحق بالعابد ليسيئه ويؤذيه .. فرمى إليه الثاني وهو يعدو ليأمن شره وأذاه ..وأكل الرغيف الثاني وتبعه كما يتبع الظل صاحبه .. وينبح عليه ويعض ثوبه ويمزقه ولما رأى العابد سماجة الكلب أي وقاحته وقلة حيائه قال العابد: ما رأيت كلبا أكثر سماجة وأقل حياء منك .. فإن صاحبك لم يعطني سوى رغيفين وقد أخذتهما منى أنت النذل .. فلم تلاحقني وتمزق ثيابي؟فانحلت العقدة من لسان الكلب ونطق قائل: افتح عينيك يا عارف فلست أنا بنذل .. لقد سكنت بباب هذا المجوسي العجوز منذ صغري أرعى غنمه وأحرس بيته .. فيتفضل علي برغيف حينا وبعظمة حينا آخر وقد ينسى إطعامي .. فيستولي علي الجوع .. ويعود مذاقي علقما من المجاعة وقد تمر علي أيام لا أرى فيها رغيفا ولا أشم خلالها رائحة عظم .. وقد لا يحصل المجوسي خبزا لي ولنفسه ولم أدعه إلى غيره لأني نشأت ببابه وقضيت أيامي وحياتي إلى جواره .. ولزمت بابه شاكرا أو صبورا وتأخر رغيفك ليلة واحدة .. فانفطر صرح صبرك .. وانصرفت عن باب رازقك وهرعت إلى باب مجوسي وتركت خليلك لرغيف .. وصالحت عدوه .. فاقض ما أنت قاض .. مراعيا المروءة والإنصاف .. أينا أقل حياء .. أنت أم أنا!! فدهش العابد وصفع نفسه يضرب بيده على رأسه وزال عقله وشعوره وأغمي عليه.

قوم إذا داعي الجهاد دعاهم ***هبّوا إلى الداعي بغير توان

وبنعمة لإسلام عاشوا إخوة ***شركاء في الأفراح والأحزان

محرابهم بالليل معمور بهم ***يتضرّعون تضرّع الرهبان

وإذا انـقضى الليل البـهيم وجدتـهم* بـنـهارهم يا صاح كالفرسان**
و هتافهم الله أكبـر إنـهم ***لم يـهتفوا بـحياة شخص فان

الرسالة الثالثة : استعد من الآن لرمضان القادم :

روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه وعن ابن مسعود أنه كان يقول : من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول هنيئا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك .

ليت شعري من فيه يقبل منا * * * فيهنا يا خيبة المردود
من تولى عنه بـغير قبول * * * أرغم الله أنـفه بـخزي شديد

قال ابن رجب : في (**لطائف المعارف ٣٢٣**) : بعض السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم . وخرج عمر بن عبد العزيز رحمه الله في يوم عيد فطر فقال في خطبته : أيها الناس إنكم صمتم لله ثلاثين يوما و قمتم ثلاثين ليلة وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم. وعن الحسن قال : إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون .

قَوْمٌ هُمُومُهم بِالله قَدْ عَلِقَتْ * * * فَمَا لَهُم هِمَمٌ تَسْمُو إلى أَحَدِ
فَمَطْلَبُ القَوم مَوْلاهُم وَسَيِّدُهُم * * * يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِم لِلواحِدِ الصَّمَدِ
مَا إِنْ تُنَازِعُهُم دُنْيَا وَلا شَرَفٌ * * * مِن المَطَامِعِ والَّذاتِ والوَلَدِ
ولا لِلُبسِ ثِيابٍ فَائِقٍ أَنِقٍ * * * وَلا لِرَوْحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ
إِلا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ * * * قَدْ قَارَبَ الخَطْوُ فيه بَاعِدِ الأَبَدِ

فهكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يستعدون لرمضان قبل رمضان ، أي أن السنة كلها كانت عندهم رمضاناً ، وهكذا حال المؤمن أيامه كلها طاعات وأوقاته كلها بر وخيرات .

عَنْ عَلْقَمَةَ . قَالَ : سَأَلْتُ أم الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ . قَالَ : قُلْتُ : يَا أم الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الايَّامِ ؟ قَالَتْ : لا . كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً وَايُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَطِيعُ ؟. **أخرجه أحمد ٤٣/٦ و"البُخَارِي" ٥٤/٣ و"مسلم" ١٨٩/٢ .**

وعَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ. **أخرجه أحمد ٣٥٠/٢(٨٥٨٤) و"ابن ماجة" ٤٢٤٠ .**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدم تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ.**أخرجه أحمد ٣٥٨/٢(٨٦٨١) و"التِّرمِذي" ٢٤٦٦ ، و"ابن ماجة" ٤١٠٧ الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٣ / ٣٤٦ .**

قال القرطبي في: (**التذكرة : ٣٧٠**) روي عن بعض الصالحين رضي الله عنه أنه قال : أخذتني ذات ليلة سنة فنمت فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت و كأن الناس يحاسبون فقوم يمضي بهم إلى الجنة و قوم يمضي بهم إلى النار قال : فأتيت إلى الجنة فناديت أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنة في محل الرضوان ؟ فقالوا : بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم أتيت إلى باب النار فناديت يا أهل النار : بماذا نلتم النار ؟ قالوا : بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال : فنظرت فإذا أنا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقالوا لي : لنا ذنوب جلت وحسنات قلت فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا دخول النار وأنشدوا :

نحن قوم لنا ذنوب كبار * * * منعتنا من الوصول إليه

تركتنا مذبذبين حيارى * * * أمسكتنا من القدوم عليه

فمن علامات قبول العبادة أن تكون حال العبد بعدها أحسن من حاله قبلها، وهذه هي ثمرة العبادة ولبها، إذ الهدف والغرض من جميع العبادات أن تزيد المرء قرباً وتقوى لله عز وجل ، كما أن من علامات قبول العبادة حسن المداومة عليها وتذوق حلاوتها .

فرحة العيد

لكل أمّةٍ مِن الأمَم عيدًا يأنسون فيه ويفرحون ،وهذا العيد يتضمَّن عقيدة هذه الأمة وأخلاقَها وفلسفةَ حياتِها، فمِن الأعيادِ ما هو منبثِق مِن الأفكارِ البشريّة البعيدة عن وحيِ الله تعالى، وهي أعيادُ العقائد غيرِ الإسلاميّة، وأمّا عيد الفطر وعيد الأضحى فقد شرعه الله تعالى لأمّة الإسلام، قال الله تعالى: ((لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا))[الحج:٣٤]، روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عبّاس قال: (منسكاً أي: عيدًا) . **أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩٨/١٧)، وعزاه السيوطي في الدر (٤٧/٦) لابن أبي حاتم .**

وعيد الفطر وعيد الأضحى يكونان بعدَ ركنٍ مِن أركان الإسلام، فعيدُ الفِطر يكون بعدَ عبادةِ الصّوم وعيد الأضحى بعد عبادة الحجّ وبهذا تواترت النصوص الشرعية على حصر الأعياد الزمانية في الإسلام في عيدين حوليين هما الفطر والأضحى، لا ثالث لهما سوى العيد الأسبوعي يوم الجمعة، وأن ما سوى ذلك من الأعياد إنما هو محدث، سواء كان أسبوعياً أم حولياً أم قرنياً أم غير ذلك.

وقال ابن الأعرابي: "سمّي عيدًا لأنّه يعود كلّ سنة بفرح متجدد". **نقله الأزهري في التهذيب (١٣٢/٣).**

وهذا المعنى في العيد هو الوارد في السنة النبوية الصحيحة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا بكر، إنّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا)).**أخرجه البخاري في العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام (٩٥٢). ومسلم في العيدين، باب الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه أيّام العيد (٨٩٢).**

فالعيد في معناه الديني شكر لله على تمام العبادة، والعيد في معناه الإنساني يومٌ

تلتقي فيه قوة الغني، وضعف الفقير على محبة ورحمة وعدالةٍ من وحي السماء، عُنوانُها الزكاةُ، والإحسانُ، والتوسعة .

والعيد في معناه النفسي حدٌّ فاصلٌ بين تقييدٍ تخضع له النفسُ، وتَسكُنُ إليه الجوارح، وبين انطلاق تنفتح له اللهوات، وتتنبّه له الشهوات .

والأعياد في الإسلام لها أخلاق وآداب منها :

أولاً . الفرح والسرور بقدوم العيد :

فالعيد جعل للفرح والسرور لا لتجديد الهموم والأحزان ، قالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمرُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((دعهم، أمناً بني أرفدة)). **أخرجه البخاري في العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين (٩٨٨).**

قال ابن حجر: "فيه تعليل الأمر بتركهما، ... أي يوم سرورٍ شرعي، فلا ينكر فيه مثل هذا، كما لا ينكر في الأعراس". **فتح الباري (٣/٤٤٣).**

قال ابن عابدين: "سمّي العيد بهذا الاسم لأنّ لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل عام، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة، ولحوم الأضاحي وغير ذلك، ولأنّ العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور غالبًا بسبب ذلك".**حاشية ابن عابدين (٣/١٦٥).**

ففي العيد يستروح الأشقياء ريح السعادة، ويتنفس المختنقون في جو من السعة، وفيه يذوق المُعدمون طيبات الرزق، ويتنعم الواجدون بأطايبه .

ففي العيد تسلس النفوس الجامحة قيادها إلى الخير، وتهش النفوس الكزة إلى الإحسان .

وفي العيد تنطلق السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول على حقيقتها .

عن سعد بن أوس الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يا معشر

المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة . **أخرجه الطبراني في "الكبير" (٦١٨) الألباني : الضعيفة ١/١٦٩.**

ثانياً – الاغتسال والتطيب والتزين :

من إظهار الفرح والسرور في العيد الحرص على الاغتسال والتطيب والتزين ولبس الجديد ، عن نافع أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهم كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. **أخرجه مالك في الموطأ: العيدين، باب: العمل في غسل العيدين والنداء فيهما والإقامة (١٧٧/١).**

قال البزار: "لا أحفظ في الاغتسال في العيدين حديثًا صحيحًا" .**انظر: التلخيص الحبير (٨١/٢).**

قال ابن عبد البر: "فأمّا الاغتسال لهما؛ فليس فيه شيءٌ ثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم من جهة النقل". **التمهيد (٢٦٦/١٠).**

وثبت أنّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل في هذين اليومين . **أخرجه مالك في الموطأ بسند صحيح (١٤٦/١).**

وقد نقل اتِّفاق الفقهاء على استحباب الاغتسال للعيدين غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

قال ابن عبد البر: "واتفق الفقهاء على أنّه حسنٌ لمن فعله" . **الاستذكار (١١/٧).**

وقال ابن رشد: "أجمع العلماء على استحسان الغسل لصلاة العيدين" . **بداية المجتهد (٣١٦/١).**

ويستحب التزين في العيدين في اللباس والطيب عند عامة الفقهاء ،فعن عبد الله بن عمر قال: أخذ عمر جبةً من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ! ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّما هذه لباس من لا خلاق له)) . **البخاري**

(٩٤٨).

قال ابن قدامة: "وهذا يدل على أنّ التجمل عندهم في هـذه المواضـع – يعنـي: الجمعة، والعيد، واستقبال الوفود – كان مشهورًا" . **المغني (٥/٢٥٧).**

قال مالك: "سمعتُ أهل العلم يستحبّون الطيب والزينة في كلّ عيد، والإمام بـذلك أحقّ؛ لأنّه المنظور إليه من بينهم" . **انظر: المغني (٥/٢٥٨).**

ثالثاً. لكل عيد سنة :

فيستحب الأكل قبل الخروج إلى الفطر، وأن تكون على تمرات، كما هو هديُ النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته من بعده. **انظر: الأوسط لابن المنذر (٤/٢٥٤).**

فعن أنس رضي الله عنه:أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يخرج يوم الفطـر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا . أخرجه البخاري في العيدين، باب: الأكل يـوم الفطر قبل الخروج (٩٥٣)، عن أنس رضي الله عنه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن استطعتم أن لا يغدو أحدكم يوم الفطر حتى يطعم فليفعل) . **عبد الرزاق (٥٧٣٤)، وابن المنذر (٢١١١) .**

ويستحب تأخير الأكل بعد الصلاة في عيد الأضحى لقوله تعالى : " إِنَّـا أَعْطَيْنَـاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) **سورة الكوثر .**

كما يستحب الخروج لصلاة العيد من طريق والرجوع من طريق أخـرى : فعـن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي عليه السلام إذا كان يوم عيد خالف الطريـق **..أخرجه البخاري في العيدين، باب: من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد (٩٨٦) .**

كما يستحب إظهار التكبير ، عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعي ومالك بن أنس عن إظهار التكبير في العيدين ، قالا : نعم كان عبد الله بن عمر يظهره فـي يوم الفطر حتى يخرج الإمام .

وصح عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : (كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى) قال وكيع يعني التكبير . **انظر (إرواء ٣/١٢٢) .**

ثبت عن ابن مسعود عن ابن أبي شيبة أنه كان يقول: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا

الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد)، بتشفيع التكبير، وفي رواية أخرى له أيضاً بتثليث التكبير وهي صحيحه.**تمام المنة (ص٣٥٦)**.

وقال ابن حجر في الفتح: أصح ما ورد فيه ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال: (كبروا الله، الله أكبر، الله أكبر كبيراً) . **فتح الباري (٥٣٦/٢)**.

الله أكبر قولوها بلا وجل * وزينوا القلب من مغزى معانيها**

بها ستعلو على أفق الزمان لنا * رايات عز نسينا كيف نفديها**

الله أكبر ما أحلى النداء بها * كأنه الري في الأرواح يحييها**

كما يحرم صوم يومي العيدين لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين: يوم الفطر، ويوم النحر. **متفق عليه، أخرجه البخاري في: كتاب الصوم، باب: صوم يوم الفطر، وفي كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي (الفتح ٢٨٠/٣، ٢٦/١٠)، وأخرجه مسلم في: كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى (٧٩٩/٢)** .

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: "وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين اليومين بكل حال؛ سواء صامهما عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك، ولو نذر صومهما متعمداً لعينهما، قال الشافعي والجمهور: لا ينعقد نذره ولا يلزمه قضاؤهما . .**انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٨)** .

وقيل: إن الحكمة في النهي عن صوم العيدين أن فيه إعراضاً عن ضيافة الله تعالى لعباده. **انظر: نيل الأوطار (٢٦٣/٤)**.

رابعاً ـ التهنئة بالعيد :

فعن جبير بن نفير قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد، يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك . قال الإمام أحمد: **إسناده جيد،وحسن الحافظ إسناده في الفتح (٥١٧/٢)،وانظر أيضاً تمام المنة للألباني (ص٣٥٤-٣٥٦)**.

فالتهنئة بالعيد مما يزرع الود في قلوب الناس ، لذا استحب الذهاب لصلاة

العيد من طريق والرجوع من طريق حتى يستطيع المسلم تهنئة أكبر عدد من المسلمين .

خامساً. زيارة الأهل والأقارب وصلة الرحم :

هذا مستحب مندوب إليه في كل وقت لكنه يتأكد في هذه الأيام، خاصة الوالدين لأن فيه إدخال أعظم السرور عليهما وهو من تمام الإحسان إليهما الذي أمر الله به في كتابه ، قال تعالى :" وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) سورة الرعد .

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. **أخرجه أحمد ٣/٢٤٧(١٣٦٢٠) و"البُخَارِي" ٣/٧٣(٢٠٦٧) و"مسلم" ٨/٨(٦٦١٥).**

ومن الصلة الرحمة باليتيم والعطف عليه ، قال تعالى : "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) **سورة الضحى .**

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلاً. **أخرجه أحمد ٥/٣٣٣(٢٣٣٠٨) (البخاري) ٧/٦٨(٥٣٠٤).**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رجلا جاءه يشكو قسوة قلبه ؟. قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك .

دخل أحد الصحابة مسجداً فاستوقف نظره طفل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره قائم يصلي بخشوع فلما فرغ من صلاته سأله الصحابي: ابن مَنْ أنت؟ قال الصبي: إني يتيم، فقال الصحابي: أَترضى .أن تكون لي ولداً؟ فقال الصبي: هل تطعمني إذا جعت؟ قال الصحابي: نعم قال: هل تسقيني إذا عطشت؟ قال الصحابي: نعم قال: هل تكسوني إذا عريت؟ قال الصحابي: نعم قال: وهل تحييني إذا مت؟ فدهش الصحابي . وقال: هذا ما ليس إليه سبيل . فقال الصبي: فاتركني إذاً للذي خلقني

ثم رزقني ثم يميتني ثم يحييني . فانصرف الصحابي وهو يقول: لعمري مَنْ توكل على الله كفاه .

سادساً ـ التوسعة على العيال في الأكل والشرب والبشر فيهما :

لا حرج في التوسعة في الأكل والشرب والنفقة في هذه الأيام من غير سرف، لقوله صلى الله عليه وسلم في عيد الأضحى عند مسلم وغيره: ((أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل)).

دخل رجل على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم عيد الفطر فوجده يأكل طعاما خشنا فقال له: يا أمير المؤمنين ... تأكل طعاما خشنا في يوم العيد ... فقال له الإمام علي كرم الله وجهه: اعلم يا أخي أن العيد لمن قبل الله صومه وغفر ذنبه ... ثم قال له: اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لا نعص الله فيه فهو عندنا عيد .

كما يباح اللهو المباح:لحديث أنس عند أبي داود، والنسائي بسند صحيح، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال عليه الصلاة والسلام: ((كان لكم يومان تلعبون فيهما ، وقد أبدلكم الله خيراً منها: يوم الفطر ويوم الأضحى)).

وأخرج الشيخان وأحمد عن عائشة قالت: (إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لي منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت).

وأما الغناء المباح فلما أخرجه الشيخان وأحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث – وفي رواية –: وليستا بمغنيتين، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دعهما – وفي رواية – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا)).

سابعاً . البعد عن اللهو المحرم والمنكرات والبدع :

فالعيد في الإسلام سكينةٌ ووقارٌ، وتعظيمٌ للواحد القهار، وبعدٌ عن أسباب الهلكة ودخول النار .والعيد مع ذلك كله ميدان استباق إلى الخيرات، ومجال منافسة في المكرمات .

ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعته تزيد .

ليس العيد لمن تجمّل باللباس والمركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب .

ليس العيد لمن حاز الدرهم والدينار إنما العيد لمن أطاع العزيز الغفار .

ليس العيد لمن لبس الجديد ... إنما العيد لمن أطاع رب العبيد وخاف وعيد وعمل ليوم الوعيد

ليس العيد لمن لبس الثياب الفاخرة ... إنما العيد لمن عمل وخاف الآخرة .

وورد أن الملائكة تنزل في صبيحة يوم عيد الفطر تقف في أبواب الطرق وتنادي يا أمة محمد: اغدوا إلى رب كريم يمن بالخير ثم يعطي عليه الجزيل.. لقد أمرتم بصيام النهار فصمتم وأمرتم بقيام الليل فقمتم وأطعتم ربكم فارجعوا مغفوراً لكم ... ويسمى هذا اليوم في السماء بيوم الجائزة .

العيد في الإسلام سكينةٌ ووقارٌ، وتعظيمٌ للواحد القهار، وبعدٌ عن أسباب الهلكة ودخول النار .

ليس عيد المحب قصد المصلّى * وانتظار الخطيب والسلطان**

إنما العيد أن تكون لدى الحـ * ـب كريما مقرباً في أمان**

قال الإمام انس بن مالك رحمه الله : للمؤمن خمسة أعياد : كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد ، اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان فهو يوم عيد ، واليوم الذي يجاوز فيه الصراط ويأمن أهوال يوم القيامة فهو يوم عيد ، واليوم الذي يدخل فيه الجنة فهو يوم عيد ، واليوم الذي ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد.

فها هو الخليفة العادل الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ... رأى ابنه عبد الملك في ثياب رثة في يوم العيد ... فبكى عمر رضي الله عنه ... فلاحظ

ابنه البار ذلك ... فقال له: ما يبكيك يا أبتاه ؟ فقال له أبوه الـــرحيم: أخـــاف أن تخرج يا بني في هذه الثياب الرثة إلى الصبيان لتلعب معهم فينكسر قلبك ... فقال الابن البار لأبيه الرحيم: إنما ينكسر قلب من عصى مولاه وعق أمـــه وأبـــاه ... وأرجو أن يكون الله راضيا عني برضاك عني يا أبي ... فضمه عمر إلى صـــدره وقبله بين عينيه ودعا له ... فكان ازهد أولاده .

وهناك بعض البدع والمنكرات التي يجب التنزه عنها في يوم العيد ومنها :

١ــ اعتقاد البعض مشروعية إحياء ليلة العيد.

٢ــ زيارة المقابر في يومي العيدين.

٣ ــ خروج بعض النساء متعطرات متجملات سافرات.

٤ ــ الاستماع إلى الغناء المحرم والمعازف والموسيقى وغيرها.

٥ ــ تضييع الجماعة والنوم عن الصلوات.

٦ ــ بدعة وصل الأرحام وتهنئتهم عبر رسائل الجوال والهاتف فقط دون الزيارة والصلة .

فلنجعل الأعياد مواسم للطاعات وأوقات للقربات والخيرات والمودات والصلات .

الفهرس